رقم الإيداع
٢٠١٧/٢٦١٢٧
الترقيم الدولي
978-977-6642-06-5

روبيك - مقالات

كريم محمود

غلاف: محمد عبد السلام

تنسيق داخلي: محمد محمود

تدقيق لغوي: محمد آمين

المدير العام: إيناس ناصر

المدير التنفيذي : شادي أبو شهبة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع
المنصورة – حي الجامعة – امام القرية الأوليمبية

Logarithpublish@gmail.com

يمنع طبع هذا الكتاب او اي جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والترجمة، والتسجيل المرئي، والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

روبيك

كريم محمود

لكَ وكفى

فكر جيداً قبل أن تتصرف، وحاول أن تسمع أولاً لا أن تتكلم! ربما كانت ملاحظة عابرة من أب يحاول السيطرة على شيطنة صغيره، لكنها لازمتني منذ ذلك الحين وإن كنت لم أقتنع بجدواها إلا بعد أن أضحى الطيش جزءاً من ذكريات الماضي، حتى أصبحت من أكثر الأشياء التى أثرت في تكويني الحالي لدرجة كانت تدفع كل من يرانا معاً يؤكد إني قد ورثت هدوءك، فتضحك! لأنك تعرف أني لست على هذا القدر من الهدوء الذي أدَّعيه بل فقط أجد متعةً ما في إجادة الصمت.

ما زلت أذكر كل هدية نجاح، وكل مناسبة أجبرتك أن تشتري لي شيئاً لا منفعة تذكر منه خصوصاً علبة أدوات الساحر المبتدئ وما زلتُ أذكر تفاصيل ملاحظاتك اللاذعة حرفياً وسأحتفظ بها كذكرى جمعتنا وحدنا فقط .

ما زلتُ أذكر تأنيبك في كل مرة تشتري فيها هاتفاً جديداً وكلما واجهتك صعوبة في استخدام شيءٍ ما تقول لي: مش إنت اللي مختاره؟ اتصرف! وتوبيخي لعدم تحميل تطبيقاتك المفضلة وإدخال كلمات المرور لحساباتك وأغاني "الست" التي تحبها رغم احتفاظي الدائم بكامل أغراضك دون نقصان! فقط أتكاسل عن عمدٍ وأنتظر تعليقاتك اللائمة كالقط الذي يستمتع بمشاكسات صاحبه.

ما زلت أحتفظ بكل شئ .. وأحاول الإتصال بك كل صباح لأتأكد من تناولك وجبة الإفطار وجرعة الأنسولين، وأنتظر مكالمتك المسائية اليومية وأنت تسألني بسخرية: هاتيجي في معادك ولا زي كل يوم؟ رغم يقيني أن رنين الهاتف لن يأتِ في موعده بعد الآن.

واسمح لي أن أشكر صبرك وثقتك لأصبح ما أنا عليه الآن، واعذرني في أي تقصيرٍ لم يسعفني الوقت حتى أغيره لما كنت ترجوه، وأتمنى لو كنت

عند حسن ظنك وكما رغبت.

ويبقى عزائي الوحيد في النهاية أنك في مكان أفضل.

الإهــداء

إلى الوطن .. أمي.

إلى المزعجين الذين أتوسطهم في الترتيب.

إلى من أتاحوا لي أول فرصة حقيقية للثرثرة بطعم ورائحة الحبر، وهو أمر لن أكف عن ذكره مهما تعاملوا معي بتواضع.

إلى البيت .. وغرفتي المتواضعة – الكهف – وكل ما عانته من فوضى ولافتة "قف للتفتيش" ذائعة الشهرة والتي عرفها كل طرق باب منزلنا قبل ١٩ أكتوبر ٢٠٠٨ م

إلى الشِلة .. إلى ٩٠% من أعمارنا التي قضيناها معاً.

وأخيراً إلى هؤلاء الذين يعرفون يقينا قدر ما أحمله لهم في داخلي من وِد .. إلى أوقاتنا الممتعة معاً والتي أتمنى أن نتذكرها بالخير بعد إختفاء ظاهرة الإنترنت.

لحظة! إلى كل من اقتنى هذا الكتاب .. هيـح

كريم محمود

الفينال

من المفترض أن يكون العنوان هو "المقدمة"، لكن الكاتب لا يشرع في كتابة مقدمته إلا بعد أن ينتهي تماماً من العمل ويُرضي نقده الذاتي المريض والمتسلط بالكثير من الحذف والتعديل وربما بعض الإضافات. لذا كان من المنطقي أن يكون العنوان كما قرأت لا كما هو متعارف عليه.

لا بأس، لننتقل إلى معضلة وجودية أخرى وهي أهمية المقدمة – الفينال – ذاتها! لنعتبر أنها بمثابة البوابة التي تفصل بينك وبين عالم آخر توشك على دخوله مهما كان متواضعا أو بسيطا كما هو الحال أمام هذه البوابة تحديداً.

أما بخصوص عالم ما بعد البوابة .. فهو مجرد محاولة للمزج بين ألوان ربما تتناظر وربما تختلف، مجرد محاولة لتشكيل عالم متباين

من الأفكار ربما يجمعها في النهاية ما هو أكثر من مجرد غلاف واحد. وهو ما يجعل اسم العمل منطقياً إلى حد ما .. أتمنى لك وقتاً ممتعاً هنا، أهلا بك في روبيك!

الفصل الأول

واقـــعيـــات

أن تنشرَ في مصر

كان ينبغي أن أعرف أن النشر في بقعة جغرافية ممتعة كهذه يحمل العديد من المعاني والصيغ! الكلمة نفسها يمكن تفسيرها إلى أوجه عدة، منها نشر العظام مثلاً! وعلاجه المعتاد كما تعرف هو الإسراع في ابتلاع أي أقراص تجدها في الثلاجة لمجرد أن أوحى لك شكل العلبة أنها ربما تكون مسكنا! ولنا أن نتخيل معاً كم المرح الناتج عن سهولة شراء وتعاطي الأدوية بسهولة بلا وصفات طبية معتمدة.

النوع الثاني من النشر هو "نشر الغسيل" وهو أكثرهم شهرة، ويتميز عن باقي الأنواع بمفردات لغته السهلة والتي يمكنك أن تُسمها "لغة الحبل". إنها لغة لا تهتم فقط بالتنظيم، بل التفاصيل أيضاً، ويمكنك أن تعرف ما إن كان هذا المنزل سعيداً أم لا بمجرد النظر إلى "لغة حبل" المنزل! فكلما كانت الأشكال الهندسية البيضاء ذات الشكل

الهرمي خصوصا أو المربعة في المقدمة تليها بعض القصاصات التي لا تعرف كينونتها ذات الألوان الزاهية تأكد أن هذا بيت سعيد بلا أدنى شعور بالشك.

المميز في هذا النوع من النشر أنه يقودك إلى تناقض كوميدي يخص المنطقة العربية بشكل عام، حيث لا تجد الشعوب حرجاً من أن ينظر الآخرون إلى ملابسهم الداخلية للجنسين معلقة على حبل، وعلى نفس المضمار يمكنهم إفناء حياتهم جدلاً في قضايا ملابس المرأة.

أما النوع الأخير من النشر – بعد استبعاد نشر حبوب اللقاح والفيروسات – والذي أستهدفه من البداية بالحديث عن النشر فهو النشر الأدبي! وبرغم انتشار دور النشر، وبعد أن أصبحت معارض الكتب تعج بالكُتاب الذين يبحثون عن قراءٍ لهم، مازال الأمر مثيراً للشفقة.

لقد اكتشفت بعد التجربة الأولى أن أهم ما يميز العمل هو كونه رواية في المقام الأول، ثم أن يكون "بيست سيلر" في المقام الثاني. ولكي تنعم بالحسنيين عليك أن تكتب رواية تتصدر بها المبيعات! وكبائس لا يشق له غبار قضيت فترة أحاول أن أجد فيها ضالتي في فكرة رواية يتهافت عليها العملاء المستهدفون. كانت الإجابة دائماً ما تقفز إلى رأسي أن لا بديل عن تقديم الرعب! أنا من افتتح عمله الأول بالسخرية من كل من حاولوا إخافتنا على الورق أصبح مضطرا للسباحة مع التيار! وقد انهمك فعلاً من لا يجد لذة في شعوره بالفزع المقروء بالبحث عما يمكنه أن يفزع به الآخرين .. ولو كان العميل المستهدف يرى في كلمة "بخ" التي يقرؤها ضمنياً بين السطور كفيل بتحقيق معادلة (رواية – مبيعات) فأهلا بهذا المنطق! ولا حرج أن تنظر للأمور نظرة تجارية طالما أصبح هذا هو المقياس الغير معلن لتقييم الجودة.

طلبت مساعدة جوجل وبينج وكل محركات البحث المعروفة للتفتيش عن أسماء الشياطين والتعاويذ القديمة، وكلما وجدت اسماً أخاذاً

يصلح كعنوان أعيد البحث عنه في موقع "جودريدز" لأجد أن هناك يافعاً نشيطاً آخر قد سبقني! لم يعد متوفراً من أسماء التعاويذ والشياطين ما يصلح. القبور وشواهدها لم تعد متاحة، سلالة الكونت دراكولا والموتى الأحياء حتى الفضائيين تم استهلاكهم كلياً، لكن كمثابر لا يسمح لليأس أن يجد لنفسه مسلكاً بين خلاياه لجأت للاتينية! كنز الأطباء الذين تمرسوا الكتابة واخترعوا لأنفسهم مجال الرعب الطبي الذي أصبح يلقى رواجاً لا بأس به، لكن مع المزيد من جوجل وبينج وكل محركات البحث وجودريدز اكتشفت أيضاً أنه لا يوجد إنحراف نفسي أو متلازمة حتى أنواع الفوبيا إلا وأهلكها الشباب المتحمس حرفياً!

كلهم باتوا مرعبين وكلنا أصبحنا ننتظر كيف ستكون الـ "بخ" القادمة.

فكرت حينها في إختراع ما يمكن أن أقضي به على يأسي وأنا على حافة الإكتئاب وأن أسلك درباً لم يسبقني إليه أحد، ماذا لو تناولت الأمراض الجلدية في رواية؟ مجال لم يسبقني إليه أحدهم حتى الآن!

وتحت شعار التجديد والإختراع فرواية تحت اسم "هستوبلازما" مثلاً مع غلاف من فنان عرف كيف يطوع من أدواته ليخلق عالماً كعوالم "جويا" الظلامية فيرسم شخصاً ذو ملامح مشوهة يغرس أظافره في لحم الوجه وهو يصرخ كاشفاً عن بعض آثار لحمه على أسنانه كفيلةً بمبيعات الطبعة الأولى حتى قبل أن تصدر. لكن بعد كل هذا الحماس والبحث والتجهيز والمحاولات العبثية اكتشفت أنني لست طبيباً من الأساس! لقد انتصرت الأنا الأعلى في معركة الضمير مع الهو وأصدرت فرمانها بالتوقف التام عن كل محاولات العبث، وبقيت الأنا وحيدة تنظر إلى عناوين ملفات الوورد التي يحمل كل منها اسماً غريباً وعبارة التشويق التسويقية المعتادة أسفل كل عنوان كـ :

فيلق الملاعين: هو الذي يسير عكس الإتجاه ولا يبالي .

دفتيريا: حيث لن يفلح البنادول .

مورسيوس: يأتيك من حيث تترفع أنت عن أن تتداخل معه .

منزل البحيرة الحمراء: لا تطرق الباب .. لا تضع إصبعك فوق العين السحرية .. اهرب .

بشئ من الحسرة! مشاريع البيست سيلر تنزلق من بين يدي نحو المجهول، تباً لفرويد.

بعد فترة هدوء .. أعدت النظر للخطوة التي كنت على وشك أن أقحم نفسي فيها عنوة وأخذت في التفكير، ماذا لو كنت شرعت في إستكمال أحد تلك المشاريع العجيبة؟ الكتابة في موضوع واحد بإسهاب وتفاصيل ترقى لمرتبة الملل هو شيء مجهد، وأنا لا أميل للرعب المقروء بشكل خاص! كيف كنت سأنهي رواية رعب؟ حتى لو لجأت إلى المزج أو الدمج بين الشخصيات والأزمنة لتوسيع رقعة الوصف والثرثرة وتضخيم العمل، أو إقحام أكثر من نقطة تنوير غصباً لتمرير ضعف

الحبكة واللجوء للقطع السينمائي للتشويش على عيوب السرد لم يكن الأمر ليفلح.

مشروع معادلة (رواية – مبيعات) غير قابل للتحقيق في الوقت الراهن. بمعنى أدق، فن الرواية عظيم جداً لدرجة لا أجد في نفسي القدرة على المشاركة في تشويه سمعته.

لكن الأمور ليست بهذه البساطة! مازال لدينا الكثير من المعادلات لتحقيقها وإن كانت أقل في المردود البيعي بشكل عام مثل (ديوان - مبيعات)! أو (خواطر – مبيعات) وحان وقت أن نترك هؤلاء العملاء الذين يستهدفون الـ"بخ" ونوجه الدفة لاستقطاب العملاء الذين يستهدفون الـ"هاح" لأن معادلة (ديوان – فن) لا تلقى الرواج المناسب وغالباً ما ينتهي الأمر بصاحبه مكتئباً أو متوقفاً عن الكتابة لأنه لم يفطن بعد أنه بحاجة ليغازل جماهير "هاح" العريضة حتى يتمكن – تجاريا – من تمرير موهبته الحقيقية وسط معترك كهذا.

لكن المعضلة في تحقيق معادلة (ديوان – مبيعات) من المحاولة الأولى وبغض النظر عن الموهبة طالما نتحدث من منطق تجاري بحت تستلزم ثلاث محاور رئيسية:

أن تكون متعمقاً في الرومانسية اللزجة ، حيث الحرص على أن تتمنى فعل كل شئ ثم تؤكد أنك لن تفعل أي شئ لأنك شخص محترم، وكن دائم الإشارة أن الحلال أجمل لهذا سوف تنتظر، بعض أحضان المواصلات الإجبارية بسبب ضيق المساحات جيد، رعشة اليد عند اللمسة الأولى الغير مقصودة أيضاً، إلى البنت اللي ... الكثير من "إنتي إزاي كده" أو "إنتي ليه"؟ وحاول دائماً أن تهرب من معضلة وصف حبيبتك إلى وصف عدم قدرتك على وصفها! فكلما انتفخ القراء ذاتياً كلما غضوا النظر عن ركاكة المحتوى.

بعض العناوين لابد أن تحمل أسماء سعيدات الحظ وتتغزل في حروفهن، ولاحظ أن كل شئ يصلح للغزل بداية من ربطة الحجاب

المميزة ومشية البطريق وقصر القامة حتى عشق الشاورما أو المثلجات كنوع من المرغوب تلبية لنداء الـ"ستريم". ثم كأي بهلوان يعرف كيف يسير فوق الحبال عليك أن تقدم كل هذا الإسفاف في قالب ملتزم أخلاقياً! عليك أن تقدم لهذا النوع من الجمهور ما يمنعهم الحاجز الأخلاقي الوهمي الذين يقفون خلفه باختيارهم ما يمكنهم تجربته والإستمتاع به دون الحاجة للإلتفات لضمائرهم! فتكون النتيجة عبارة عن "مُحن متبادل" يفرض نفسه رغماً عن الجميع، ستضمن في النهاية مبيعاتك بشكل جيد، لكنك ستشارك في صناعة عالم بديل ومشوه يعج بكل ما هو "عيب" أو "مايصحش" أو "مش من ثقافتنا" ليصبح بإمكان هؤلاء وعلى كثرتهم الولوج إليه لتفريغ شحناتهم من الإحتياج والتجربة والإشباع، ثم يعودوا إلى واقعهم ليمارسوا كل أنواع الرقابة على تصرفات الآخرين الذين لا يكفون عن فعل كل ماهو عيب ومايصحش ومش من ثقافتنا كالعادة! أهلا بك في عالم أولاد القلب وبنات دين الحب الشاسع.

أن تكون غارقاً في الكآبة ولا شيء يعجبك حتى درويش نفسه، عليك بالكثير من جلد الذات، أنت لا تستحق الحياة في هذا العالم الذي أصبح مرتعا للأوغاد، كلهم خائنون، لا تأكل لأن المجروحين تغذيهم المعاناة ذاتيا فلا حاجة للطعام، أنت الذي تسير وحدك، أنت الذي تتنفس الألم، أنت الذي تمشي على الأشواك وليس عبد الحليم. لقد خلقنا لنتعذب، وقد خُلقوا ليشمتوا في عدم قدرتنا على مجاراة حياتهم البغيضة.

هذا النوع يغازل الجمهور ممن يعانون حالة متقدمة من الزهو بأنفسهم. سكان العالم النوراني الذين أخطر عيوبهم هو سذاجتهم المفرطة وطيبتهم الزائدة عن الحد وبصيرتهم الشفافة وأرواحهم الهشة التي تضاهي في هشاشتها بقسماط الكمون وإحساسهم المرهف الذي قد يدفعهم للبكاء المميت لمجرد أن لامس الشامبو أعينهم حتى وإن كان هذا الشامبو هو جونسون لا دموع بعد اليوم.

أن تكون سياسياً شرساً .. الشاعر السياسي الشرس دائماً ما يكون معارضاً في المطلق ، الإعتراض على كل شئ والإختلاف في كل شئ نصف الطريق نحو التميز! شال القضية المشبع بالغبار والعرق والذي اقترب من التعفن وأصبح حقلاً مثالياً لنمو البكتيريا وتكاثر الفطريات ميزة أخرى لا يجب عليك إغفالها.

أنت المبصر الوحيد في قرية العميان، أنت الذي لا تبتلع هراء السلطة مهما حاولت خداع بصيرتك. أنت الذي رغم كل ما يسببه لك العوام من أذى لقدر ما يحملوه من جهل مازلت تحاول إفاقتهم من الغيبوبة! حتى وإن كان لا أحد يهتم بما تقول عليك دائماً أن تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنك ملاحق أمنياً ومختفي قسرياً وفي خطر دائم ولابد من أن يساندوك لأنك لست مجرد شخص، أنت صوت وطن وضمير ملح الأرض! أن تكون شاعراً سياسياً شرساً يُعطي أيضاً لكلماتك العمق اللازم باستخدام الكليشيهات الشعرية مثل: أنا الذي .. ثم تستمر بالعامية، يا .. متبوعة بأي هراء كان، ثم تأتي كريزة الكعكة المقدسة

وعمق أعماق الشعر السياسي ألا وهي كلمة "عفن"! ولا أدري حتى الآن سر الجذب أو الجمال الكامن الذي لا يفهمه أمثالي في كلمة مثل العفن لتجد كل هذا الصدى وكثرة الإستخدام حتى الإستهلاك! لكنك كالعادة تخاطب شريحة ترى في مثل هذه التراكيب والتعبيرات اللفظية جوهراً لا يقدر جماله وتفرده معشر الدهماء الغوغاء الأوغاد الرعاع الجوييم الأغيار الدعاسيق الفلول أمثالنا!

والآن .. تبدو معادلة (ديوان – مبيعات) أبعد مايكون عن تحقيقها.

لم يعد متاحاً سوى القصص! لذا فـ "النحت" خيار جيد، ولا يمكن أن يكتشفه الآخرون بسهولة لأسباب يطول شرحها ودائماً ما يمكن الهروب من مسئوليته حين يكتشفوا ذلك تحت مسمى الإقتباس! أو ماذا لو لجأت للإستسهال؟ سأقرأ الفاتحة على روح يوسف إدريس قبل أن أحول كل موقف إلى قصة بداية من القط الذي جرح أصابعي وأنا أضع له قطع اللانشون، التسوق في مول عائلي ومشاهدة الأطفال

تمارس هواية التزحلق ومسح السراميك بملابسهم، ويكيبيديا وما تمثله من كنز لكل كلمة مفتاحية يمكن أن تتخيلها! أن تحول فن القصة إلى موضوع تعبير للشهادة الإبتدائية أمر ممتع، خاصةً حين تضيف كلمة "ساخر" بعد العنوان الرئيسي للعمل.

وإن أردت أن تتقدم نحو السباق بحصان المقال عليك أن تترك جوهر المقال نفسه خلفك وتستبدله بثقافة "البوست" حيث يقدم لك فايسبوك الآن مثلا خدمة "حدث في مثل هذا اليوم" وهو ما يجب أن تستغله قدر الإمكان على سبيل الحشو. لماذا تكلف نفسك أفكاراً طازجة؟

هنا يمكن أن تفطن أن المشكلة ليست فقط فيما تريد أن تقدم لتضمن وضع قدميك على أول طريق البيست سيلر كهدف يسعى إليه الجميع وهو شئ واضح ومعروف لا يجوز إنكاره أو الإدعاء أنه لا يمثل تلك الأهمية! لأن في النهاية يبقى جزءً مهما من متعة الكتابة هو أن

يصل ما تكتب لأكبر شريحة ممكنة من القراء وأن ترى كيف يتفاعلون معه.

فيكون السؤال الأشمل .. ماذا سأكتب في المطلق؟

وبغض النظر عن الصراع بين ما تريد أن تقدم وما يجب أن تقدم، احزم أمتعتك الآن وتوجه بكل ما تملك من أفكار نحو دار النشر – فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُون – لتجد وللعجب أن جزءً لا بأس به منهم لا يعبأ بما تنطوي عليه الصفحات! هو ينظر لك كغلاف محتمل يحمل شعاره في بوستر كبير معلق على "كشك" في معرض الكتاب. تكاليف الطباعة؟ مناصفة أو على حسابك حتى نفاذ الطبعة الأولي حينها يمكنك استرداد المبلغ وجزء من أرباح المبيعات بعد عمر طويل، أو يقوم هو بإنتاج العمل! لكن لا يقوم أحدهم بتلك الخطوة أو يعترف بثقل العمل وإستحقاقه للإنتاج إلا في حال كان هذا الثقل مكتسباً من حجم الموهبة التي تفرض نفسها على الجميع بشكل يصبح معه الرفض

بسبب إرتفاع التكلفة الإنتاجية رفاهية لا يجوز الإلتفات نحوها. أو بحجم "الفولورز" على مواقع التواصل الاجتماعي بشكل يضمن له عدم المغامرة بأمواله في المجهول! وعندما تقرر اللجوء لدور النشر فأنت تسعى للإنتشار من خلالهم بعيداً عن صفحات الإنترنت، هو أيضا يسعى للربح من خلالك ولا عيب في ذلك! وهو ما نسميه بـ "الشراكة التضامنية" حيث كل الأطراف تدفع بعضها نحو أقصى إستفادة ممكنة من الأطراف الأخرى. حل يُرضي جميع الأطراف .. لكنك بعد ذلك تصطدم بعقبة أخرى عليك أن تتخطاها وهي التسويق. كيف ستجد لنفسك مكاناً وسط العماليق؟

مسئولية الدار غالباً ما تنتهي عند حدود سلطات أصحاب الحق المطلق في التوزيع. فهو – دار النشر – لا يمكن أن يجبر منشأة ربحية – المكتبات – على عرض عمل لا ترى فيه هذه المنشأة فرصة لتحقيق الربح المستهدف! هؤلاء يبحثون عن الربح المضمون لإعادة تدويره وامتصاصه لآخر قطرة ممكنة من الإستفادة وهو حق أيضاً. يسعون

نحو الأعمال الضخمة، الأجزاء، الكتب التي وصلت شهرتها لإمكانية حجزها مسبقا كهواتف آيفون لأن فخامة التفاحة تكفي. في الوقت الذي ترغب أنت أيها المسكين بأن يكون لك مكانا بينهم لتنافس رغم أن محيطك نفسه لم يستوعب بعد أن لديك عملاً قيد النشر! للدرجة التي تدفع أحدهم لسؤالك بسخريته اللزجة: وده كتاب كاتب فيه كتابك؟ هاهاهاها!

والآن .. تجد لديك ثلاث طرق أيضاً تحدد وجهتك طالما مازال أمر الكتابة ملحاً ولا يكف عن إزعاجك وإرغامك على الإستمرار:

الطريق السهل أن تحقق معادلة (أي هراء – مبيعات) بنجاح .. لكن قبلها عليك أن تصنع لنفسك قاعدة جماهيرية قادرة على حمل هراء صاحب السعادة نحو القمة في مصاف النجوم! حيث سيضمنوا لك مبيعاتك، سيضمنوا لك دور النشر التي ستتصارع للظفر بملف الوورد

بغض النظر عن محتواه، ضمان التنافسية في سوق العرض والطلب وضمان حجز مكانك الدائم في مقدمة الصفوف وحفلات التوقيع.

الطريق الصعب أن تصر على تقديم ما تقتنع به .. تبذل من الوقت والعرق ما يكفي لأن تخرج عملاً ترضى عنه كأحد الحالمين بتقديم شيء متميز قبل أن يرضى عنه من سيتحملون تكلفة إنتاجه إيماناً بك وبما تقدمه أو من سيقوموا بإقتناء نسختهم مما قدمت لدعمك وحثك على الإستمرار.

هذا طبعا لا يضمن لك التنافسية ولا يضمن لك أيضاً مكانا في سوق العرض والطلب ،لكنك تغامر رغم كل شئ لأن هذا جوهر التجربة والإصرار على النجاح ولكل مجتهد نصيب في النهاية كما تعلم.

الطريق المختصر أن تنسَ أمر الكتابة تماماً وتركز في عملك الدائم والمسئول عن توفير إحتياجاتك وتأمين حياتك، رفاهية الكتابة أمر عليك أن تفكر فيه فقط عندما تصل لمرحلة الإستقرار المادي الذي

يوفر لك غطاء آمن طوال فترة إنشغالك بالبحث عن تقديم شئ طازج ومختلف.

وقبل أن تسلك أحد الطرق الثلاث عليك أن تذكر نفسك دائماً – وإن كان على سبيل تحدي الذات – هل ما تكتبه يستحق فعلاً؟ أم هي محاولة أخرى لوضع قطعة من الهراء فوق قمة الهرم وسط أقرانها والتباكي حين تفشل في الوصول بترهاتك لنفس مكانة ترهات الآخرين دون الإلتفات لما هو جيد؟ الإجابة قد تختصر الكثير، وقد توفر عليك جهداً أنت في غنى عن بذله من الأساس.

ملاحظة:

تمت كتابة هذا الجزء كاملا بالحبر السري، لو تمكنت من قراءته كاملا وبوضوح فأنت من الأحرار يا علي. لكم ستكون إنجي فخورة بك!

ملاحظة أخرى في حال لم تفلح الملاحظة الاولى:

أتوجه بالشكر لسعة صدر دار النشر نصير الحق والحرية والإبداع الذي رفض أن يستخدم مقص الرقيب أو يجبرني على حذف أو تعديل بعض الفقرات.

ملاحظة أخيرة واللهم لا تؤاخذنا بما نسينا أو أخطأنا:

هذا الجزء من وحي خيال الكاتب بالكامل وأي تشابه في الأحداث بينه وبين الواقع فهو مسئولية خيال القارئ الخصب .

زرقاء وحمراء

هل كل ما تعيشه حقيقي؟ متأكد؟ ماذا لو أن العالم هو غير ما تراه تماماً؟ أو أنه يسير وفق نظرية عدد المثلثات في الصورة! حيث كل إجابة تقفز إلى ذهنك هي خاطئة بشكل ما وعلى الأرجح سيكون عدد المثلثات الصحيح يختلف عما توقعته تماماً لتكتشف بعد كل إجابة بغض النظر عن صحتها أنك دائماً على الجانب الآخر من الحقيقة؟

ماذا لو كانت "آليس" قد وصلت إلى أعمق نقطة ممكنة في قاع الحفرة لدرجة لا تسمح لها بالعودة؟ أو كلما تخيلت أنها وصلت فعلاً إلى القاع تكتشف أن هُناك المزيد من أعمال الحفر بانتظارها؟ أو ماذا لو لم يكن هناك حفرة من الأساس؟ وكل ذلك العالم لم يكن إلا مجرد خيال يساعد فتاة ما على الهروب من واقع بائس ولا يوجد "آليس" أصلاً؟

ماذا لو كنا نحن قارة أطلانتس المفقودة؟ ومازال العالم الذي كنا جزءً منه يوما يهلك نفسه بحثاً عن أثرٍ قد يشير إلى وجودنا؟ أو أنه فقد الأمل واستسلم لنصبح مجرد حكاية أسطورية أخرى يؤلفون حول عظمتنا القصص رغم أننا لسنا متواجدين فقط! بل نعيش في وضعٍ مزرٍ أيضاً.

هل فكرت في إحتمال أننا فئران تجارب؟ نعيش في عالم زجاجي لا يمكننا الوصول إلى حوافه وكل تصرف، حركة، عملية حيوية، تخضع لمراقبة مئات الباحثين من أصحاب المعاطف البيضاء؟ وكلما حاول أحدهم أن يخرج عن نطاق ألعاب الدواليب المصممة بما يخدم برامج المراقبين سعياً لاكتشاف أسباب وجوده يتم إغراؤه بقطعة إضافية من الجبن؟

أو أكثر! ربما نحن آخرون تماماً لنا حياتنا الأخرى وماضينا الآخر ومستقبلنا المجهول ورأينا لسبب ما أن نعيش بما نحن عليه من

شخصيات وتراكم! مجرد برنامج واقع آخر تعايشنا مع قوانينه حتى نسينا أنه مجرد برنامج وقررنا الإستمرار.

أو ربما كان ما نعيشه يومياً هو مجرد حلم طويل ينتهي بمجرد أن نخلد للنوم فنبدأ حياتنا الحقيقية؟ حيث نعيش بلا أسماء أو تاريخ، بلا مسئوليات، بلا حدود لقدرتنا على فعل ما يكون وليداً للحظة.

لماذا كل هذه الجدية!؟ أو لماذا ابتلعنا القرص الأحمر طالما كان الأزرق دائماً في وضع المتاح؟ لماذا نصر على العمق رغم أن الواقع أبسط كثيرا من كل محاولات تعقيده وفلسفته؟ لماذا نتغاضى برضىً وقبول عن كل محاولات الواقع لجلب المرح ونُصِر على أن نرى كل ماهو كئيب؟ لنجرب!

ماذا لو اكتشفت كليوباترا أن اسمها أصبح مرتبطاً بنوع سجائر رديء؟ أو عندما تذهب لتهنئة أنطونيوس بعد إنتصاره على أوكتافيوس لتكتشف أنه يخونها مع كبيرة الوصيفات؟ من الذي كان سيموت بسم

الأفعى؟ ماذا كانت ستكون ردة فعل رمسيس عندما يشاهد أحفاده يغتسلون ويمتثلون لنداء الطبيعة في نافورته الخاصة؟ وكيف سيكون عقاب " ever٤ lola & moody " عندما تكتشف حتشبسوت قصة حبهما التي تشوه حفريتها جدران معبدها المهيب؟

ماذا لو كانت عشتار تزوجت من جلجامش لتتحول من إلهة تهوى الغواية إلى ربة منزل أخرى تحاول اللحاق بأطفالها قبل أن يخرجوا إلى حدائق بابل بلا سراويل؟ أو أن هذا الكائن الأسطوري مفتول العضلات ومجدل الخصلات وقاهر الخومبابا شخصياً أصابه ما يصيب كل زوج شرق أوسطي أصيل يحترم وقاره وشيبته وصلعه ودهون منطقة البطن كأحد المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء ليتحول إلى نموذج "البركة" الذي لا يهمه إندلاع البراكين من حوله طالما كانت ألسنة اللهب ما زالت بعيدة عن كرسيه الهزاز وراديو الترانزيستور الخاص به؟

كيف كان سيحافظ دراكولا على هيبته كمرعب لا يشق له غبار لو أن لعنته كانت امتصاص الدوم بدلا من الدم؟ حرف واحد كان قادراً على قلب موازين المعادلة! وهنا سؤال آخر يطرح نفسه .. كيف كانوا سيكتبون كل هذه القصص المرعبة عن وحش يمكنك إبعاد شره المتعطش وتحويله إلى حيوان منزلي أليف بكوب عصير؟ كان يمكنني حينها استغلال الأمر وتدارك فشلي المتتابع ثم كتابة رواية عن مخلوق شيطاني يمتص دماء ضحاياه!

ماذا لو قامت مايكروسوفت باستخدام أغنية " شبابيك" للترويج لنظامها "WINDOWS"؟ أو لو أصر والد أم كلثوم على موقفه الرافض لغناءها بجوار تخت شرقي؟ ماذا لو كان قد نجح الموساد في القبض أخيراً على نادية الجندي؟ أو أن الميدان في لحظة صفاء ثوري قرر أن يجعل ملحمة "شهداء ٢٥ يناير ماتوا في أحداث يناير" نشيداً وطنياً للبلاد؟ أو أن محمد صلاح قد وقع للزمالك؟

هل تظن أن هذا كل شئ؟ لماذا لا نبتلع القرصين؟ لنرى تأثير الأزرق والأحمر معاً!

ماذا لو فشلت ٣٠ يونيو واستمر الإخوان في الحكم؟ كنا سنظل تحت رحمة طائر النهضة! وطن بالكامل كان ليتحول إلى زاوية يديرها جهول متطرف لا يمكنه إتخاذ أي قرار بمفرده ولديه من الأتباع ما يكفي ليخرس كل صوت يخرج عن النمط السائد. تخيل أن أعرق دولة في التاريخ ترتدي عمامة جماعة منذ تاريخ تأسيسها المشئوم لم تمارس نشاطها علنا بقدر ما توارى أعضاؤها بين الشقوق! لكن في المقابل كنا لنحتفظ بخطابات منتصف الليل ومفرداتها العجيبة، كنا سنقف على حافة منحدر الصعود مع مخلوقات مدهشة كالعريان والبلتاجي ونحن لا نعرف هل سنتسلق للأعلى أم ستدفعنا الجاذبية للأسفل! وكان سيبقى فوده وعاشور والخمسة ستة سبعة تلاتة أربعة المجتمعون في الحارة المزنوقة يؤرقون منام رئيس أقدم دولة مركزية في التاريخ! .

ماذا لو أن صفائح القشرة الأرضية وهي تنفصل لتكون شكل القارات المتعارف عليه الآن قد تركت لنفسها المزيد من الحرية في الحركة حتى ينتهي موقعنا الجغرافي في جزيرة منعزلة في قلب المحيط؟ أن نتبادلَ الأماكن مع أستراليا أو جرين لاند ونترك خلفنا كل ما تحملناه من صراعات وحروب ومسئولية آخرين بالكاد يدركون ما قمنا به من أجلهم! كنا لنفقد موقعنا كقلب العالم وسنفقد لقب الجائزة الكبرى بالتأكيد! لأن من سيشغل باله بالسيطرة وخلق نفوذ داخل مجتمع يعيش حرفياً على حافة الكوكب؟ أن ننسَ كل شيء وضعنا فيه الموقع الجغرافي الذي لم نختره لننعم بهدوء لا متناهي بعيداً عن كل صراع أقحمنا أنفسنا أو تم إقحامنا رغماً فيه هو شئ جدير بالتأمل.

والآن .. حان وقت أن نترك الأقراص الزرقاء والحمراء في علبتها الفخمة ونجبر أنفسنا ولو قليلاً على عدم العبث في ممتلكات الآخرين وابتلاع كل شئ يناسب تجويف البلعوم كأطفال لا تدرك ما هي مقبلة عليه من خطر ونعود إلى نقطة البداية، ثم نتساءل معاً عن سبب إهانتنا

الدائمة للواقع وهروبنا المستمر نحو الخيال!؟ رغم أن الواقع نفسه يملك من المفاجآت والمفارقات ما يعجز الخيال نفسه عن مجاراته!

وللإنصاف أيضا مغلفاً برغبة عميقة لإثبات ما أنا عليه من صواب .. كيف يمكن أن يتصرف الخيال والواقع لو بالإمكان قياسهما في موقف واحد؟ وليكن الإختبار أن نضع أمام كلاهما كوب واحد ممتلئ للنصف!

الخيال سينقسم إلى ثلاث تيارات، الأول سيرى أن الكوب الممتلئ للنصف هو مثال للقبح لأن الكوب إن لم يكن كاملاً فلابد أن يبقى فارغاً! وسيبتلع القرص الأحمر على حلق جاف كبداية لإعلان المنطقة خاضعة لقتامة تصوره عن كل شئ، الثاني لن يَهمه كثيرا فراغ النصف، لأن النصف الآخر يكفي لرؤيته التفاؤلية ولإبتلاع القرص الأزرق ثم الإنغماس في هزلية الإحتمالات، بينما الثالث سيحاول أن يلعب دور "يين يانج" بالدمج بين كآبة الأول وجنون الثاني بخلق عالم

"شبه واقعي" متوازن بتفاؤله المفرط وتشاؤمه المنفر وابتلاع القرصين بنصف الكوب.

أما الواقع .. فسيخرج من كهفه كذكر من العصور الجوراسية يتثاءب في ملل وينظر إلى علبة الأقراص بعيون مازال يملؤها النوم ثم يمد يده ليلتقط القرصين ويغلق بكل قرص فتحة من فتحتي أنفه لأن هناك رائحة كريهة قوية منبعثه من مكان يجهله ثم يشرب ما في الكوب غير مبالٍ بكفايته وما إن يروي عطشه حتى يحطم الكوب فوق رأس الخيال على سبيل المزاح البدائي ليبدأ رحلة بحثه عن وجبة الإفطار.

هروب سريع

حسناً أيها الوسيم! نزولاً على رغبة كلانا في اكتشاف مدى عدم أهمية ما سنقول، وبغض النظر عن إلحاحك المستعر للقاءٍ كهذا! دعني أولا أن أطلب منك شيئا – لا يعتد به كبادرة حسن نوايا طبعاً – أرجو أن تخبر خالتك أو عمتك أو تلك الأنثى المتلصصة في المطلق أن مستواها في التجسس لا يرقَ حتى لمستوى نجمة الجماهير! لقد اختارت أقرب مقعد لنا وتحاول جاهدة أن تبدو منهمكة في هذا اللوحي رغم أنه لا يُظهر أي انعكاس على نظارتها على الإطلاق! سترتبك الآن وستحاول إيجاد زر التشغيل بعد أن سمعتني دون جدوى، ستحاول عدم لفت الانتباه بالنداء على طفلها تماماً كما تفعل الآن لتلافي الإحراج، ثم ستقوم مسرعةً للبحث عنه. هل اصطحبت طفلها معنا؟ لا يهم .. كان يكفي لو طلبت أن تنضم لنا فلم أكن لأمانع! على الجميع أن يحظى بالمرح طالما كانت الفرصة متاحة، لكن لا بأس.

المهم .. لنبدأ بالرسميات، أنا "بسنت" وأنت شخص ما وهذا كافٍ. تشرفنا! سأطلب لنفسي مخفوق الفراولة بالحليب منزوع الدسم فأنا أحب خداع نفسي كثيراً بكل ما يتعلق بالنظم الغذائية، وأرجح لك أن تطلب عصير الكيوي رغم سمعته السيئة لأن الموالح مفيدة.

وقبل أن تسأل سأخبرك كل شئ عن نفسي ..

أنا بسنت للمرة الثانية، أعشق السهر، أشاهد المسلسلات كمدمنة، أحب تناول الطعام بكل أشكاله سواء كان مغموراً في الزيت أو مشوياً حتى الأطباق الآسيوية. أحب عطور كالفين كلاين ولا أميل لاستخدام مستحضرات التجميل. أحب المشي بلا حذاء منذ كنت طفلة ولو كنت مهتماً فهو سبب كافٍ لتبدو أقدام آنسة مثلي بهذا الحجم! لا أستخدم العدسات اللاصقة ليس لأنني لا أحبها لكني أكره فكرة أن يضع شخص أصابعه داخل عينيه كلما لاحت له الفرصة لوضع شئ لن يراه أصلا! أقضي وقت فراغي غالبا في النوم. النوم حالة مقدسة لاستدعاء

الهدوء والسلام النفسي في عالم إعتاد الصخب والملل. لا أحب كل ماهو متعلق بالخياطة ودائما ما أتخيل هذه الإبر الطويلة كأسلحة تحتاج للتدريب لإتقان تنفيذ بعض الطعنات المميتة باستخدامها.

أكثر ما يشعرني بالسعادة أن أبقي بمفردي قدر الإمكان، أكثر ما يشعرني بالحزن أن يتركوني بمفردي! أكثر ما يثير غيظي هو من لا يملك حس الدعابة ويصر أنه كذلك! أذكر لك – لو كنت مهتماً – أنه قد وقع في يدي كتاب لشخص ما أيضا ظل يستخدم اسم "بسنت" طوال الصفحات بلا مبرر لذلك ضارباً أروع الأمثلة في الاسترسال وإدعاء الموهبة لدرجة أثارت حنقي فعلا ودفعتني لعدم استكماله. لكني لا أنكر أني شعرت براحة ما أو لنسمها قدراً لا بأس به من التشفي عندما عرفت أن مبيعاته لم تتجاوز الطبعة الأولي حتى الآن.

أما أكثر ما يشعرني بالرومانسية هو لا شئ يذكر! الرومانسية نفسها كلمة مطَّاطة مثيرة للغرابة. فلو كانت تعني السعادة، الشعور بالراحة

أو الأمان، الإنجذاب، قضاء وقت مسلٍ لا أكثر فلم لا نسمِ الأشياء بمسمياتها دون أن نعيد اختراع العجلة؟

هذا كل ما يمكن أن أقوله عن نفسي طالما كان حديثاً عابراً مع أحد الغرباء. ويبدو أن حديثي لم ينل إعجابك في النهاية! هذا جيد بالطبع، لكن دعنا نتبادل المقاعد إن شئت وأسألك أنا ما الذي كنت تنتظره حين قررت أن تسألني: حدثيني عن نفسك كأحد موظفي الموارد البشرية المتمرسين؟ أعرف أنك لم تسأل بعد، لكنك بالتأكيد تعرف أن هذا هو مقصد جلوسنا هنا الآن! وهو نفس السؤال الذي ستسأله لي أو لغيري في أي جلسة تعارف كهذه.

إنها أبجديات لي عنق شعار القسمة والنصيب، تابو لا يمكن تجاوزه مهما ادعينا الإختلاف والنضج. لكن ما رأيك في أن نبتكر جلستنا الخاصة؟ أنا أميل للتجديد وأريد أن اختبر قدرتك على تحمل ما يمكن

أن تقابله من جنون .. سأحدثك عن نفسك، ثم تحدثني أنت عني! لنبدأ؟

أنت شاب ثلاثيني ناجح في حياتك العملية دون شك فهذا واضح، ربما كنت أحد القادمين من الخارج الباحثين عن الإستقرار! أو ربما خضت أكثر من تجربة لكنهم جميعا فشلوا في النهاية لتقرر ألا تعتمد على إختياراتك العاطفية بعد الآن. في الحالتين تريد أن تظفر بنصفك الآخر من خلال عملية اختيار عشوائي من بين كل من يمكنك أن تشاركهم جلسة كهذه أو لو كان حظك سعيداً فتقابل من هي ليست في حاجة لتلك الخطوة! ، وجودك معي الآن يعني أنك لم تنجح بعد، ورغم ذلك لا يثبط عنصر الرفض من عزيمتك وهو إصرار يستحق التحية .. لكنها معادلة ثنائية الأطراف كما ترى!

ربما يكون جوهر الخلاف بين منظورينا الآن هو إقتناعك بأنك فرصة مثالية، بينما لا يبدو الوضع كذلك من الناحية الأخرى! تطرح نفسك

كجائزة علينا ألا نفكر مرتين بقبول الفوز بها، لكنك تتناسى أن الجوائز أو الهدايا أحياناً تخضع للأذواق، والحظ! وليس ما يرضيك قد يرضي الآخرين والعكس طبعا! ولا أخفيك سراً إن بعد كل دورة للأرض حول الشمس تتقلص فرص كلانا في لقاء كهذا. نحن نعرف هذا جيداً، كما نعرف أننا – للأسف – وسط مجتمع لا ينظر لمن تعدى سن الزواج المناسب من الجنسين نظرة ملائمة أيضاً. لكن هذا لا يعني أن نسعَ لإرضاء رغبات الآخرين على حساب ما تبقى لنا من وقتٍ طال أو قصر! وأظنك قد فهمت ما أعنيه.

ربما قد تحتاج لتغيير استراتيجتك الخاصة في البحث عن شريك والتركيز لإيجاد حلول قادرة على التأثير في طرف المعادلة الآخر.

والآن دورك .. أحب أن أعرف كيف ستتحدث عني! لكن لحظة .. قبل أن تشرع في ذلك علينا أولاً أن نجد مخرجاً من هذا المأزق الذي وضعنا أنفسنا فيه. تخيل أننا بعد أن وافقنا أن نجلس معاً خارج إطار

الصالون وقطع البيتفور وعصير تانج البرتقال، وبعد أن تشوقت الجماهير الغفيرة التي تشاهد المباراة من المدرجات حولنا لمعرفة النتيجة علينا أن نفسر لهم لماذا لم نتفق وأن كل شئ نصيب! إنها ورطة أعرف أنا كيف أنجو بنفسي منها بحكم التكرار، حان وقت الإبهار!

قانون بسنت الأول: هل لعائلتك إنتماء للإسلام السياسي؟ تهز رأسك وهذا يعني إجابتك بالنفي. كان هذا ليسهل علينا الكثير حين يكتشفوا بأني قد انتخبت السيسي مثلا! أو أهمس في أذن أبي أنك تنتمي للمحظورة. ما علينا ..

قانون بسنت الثاني: هل أنت مولعٌ بالأبراج؟ إنها دائماً مخرج جيد لا يصدأ ولا يُستهلك من كثرة الإستخدام. لكن الذكور عادةً لا يقتنعون به، لذا حاول أن تقتنع.

ولا تشغل بالك بالمعترضين، هم لن يتقبلوا منك سبب كهذا في البداية وربما يكلفك الأمر بعض نظرات الإستغراب لكنهم بعد أن يلاحظوا إهتمامك الدائم وتلميحك المستمر عن خطورة الأمر سيدركون حجم الكارثة بالتأكيد حتى يستغربوا أنفسهم وكيف كانوا سيتركون فلذة كبدهم ذكر القوس يضحي بمستقبله الواعد مع أنثى الجوزاء! صدقني أن هذه الأمور قادرة على الحسم رغم ما توحي به من تفاهة.

لكن ألم يدفعك الفضول حتى الآن لتسأل كيف سأقنع أنا جماهير مدرجاتي الخاصة أن كل شئ نصيب أيضاً؟ دعني أخبرك .. الكثير من المواقف المتشابهة وتكراراها الممل يحتم عليك إبتكار وسائل هروبك المختلفة خاصة حين تكون مضطراً لإيجاد وتنفيذ الكثير من الخطط، ولحظي السعيد أن هناك "طنط" أخرى بين جماهيري مولعة أيضاً بالتلصص ولعب دور موفق الرؤوس لذا سيكون من الممتع أن أستهدف شغفها المرضي بالثرثرة وأخبرها أني لم أحسم قراري بعد رغم أن هناك ما يستميل رغبتي بالموافقة كأحد طرق الخداع الإستراتيجية

المعتادة، لكني حلمت بشئ غريب ثم أؤكد على سريته حتى أضمن انتشاره بين أفراد العائلة بسرعة الضوء. العالم بلا "طنط"عالم لا يمكن تخيله فعلا وهو ما يميز قانون بسنت الثالث.

أما الحلم باختصار فهو – خير اللهم اجعله خير – رأيت نفسي في قاعة هيلتون رمسيس ويبدو أنه كان يوم زفافي لكني كنت أرتدي فستان أسود قاتم بدون أي تطريز كعباءة خليجية يعلوه تاج يخرج منه وتدين كقرون الشيطان في رسومات المتنورين، وكنت أرتدي شبكتي والتى كانت عبارة عن سلسلة مرصعة بعظام صغيرة تبدو وكأنها عظام أصابع أطفال معقوفة بوضع عكسي يتوسطها جمجمة عملاقة وقع من فكيها أربع أو خمس أسنان لا أذكر بالظبط – التفاصيل مهمة – ويخرج من إحدى محجريها رأس لأفعى المامبا السوداء أو أفعى الجابون ربما والأخرى يظهر فيها ذيل عقرب أو خطاف تقريباً. أما فرقة الزفة فكانت ترتدي معاطف جلدية طويلة كثياب المصارع أندرتيكر وكل منهم

يحمل مشعلاً ويرددون همهمة وآهات متواصلة كهمهمات وآهات أغان السلفيين المحدثين.

أما المعازيم فكانوا يجلسون في أقفاص حديدية وكل منهم قد تم ربطه بمن هو في جواره بأغلال نحاسية تقترب من الإنصهار بفعل الأرض البركانية التي يجلسون فوقها! أما المأذون فقد كان ينتظرنا دون أن تظهر عليه أيا من مظاهر التململ والإستعجال المعتادة، كان على قدر مريب من الهدوء والوداعة ولا يرفع وجهه من دفتره حتى إقتربنا منه لكتب الكتاب، وما إن رفع وجهه نحونا حتى وجدت أن فمه قد تمت خياطته بتلك الطريقة التي تظهر في أفلام الرعب المعوية! الكوشة نفسها كانت ديكور سفينة تايتانك لكن كان يعلوها راية سوداء غالبا تخص مجموعة من القراصنة المنقرضين، أما كيف عرفت أنها تايتانك! لأن مقدمتها كانت تتزين بهيكلين عظميين متعانقين بنفس الكيفية التي ظهر بها أبطال الفيلم.

صدقني سيكون هذا كفيل لمدرجاتي المتعطشة لمعرفة النتيجة أن ينسوا أمر هذا اليوم تماماً. بل ربما يكافئوني ببعض مكعبات الكاكاو المستورد النادر وجوده بعد تعويم العملة إحتفالا بنجاتي من مصيري المظلم.

أتمنى أن تعذر فظاظتي معك، فأنت تعرف كيف يكون الوضع حين تكون مجبراً على خوض ما لا ترغب، وأتمنى أن تجد من هي كفيلة بأن توفر عليك مشقة مقابلة أمثالي فيما بعد.

وكبادرة حسن نوايا للمرة الأولى هذا اليوم ومحاولة مني لإثبات أني لست على هذا القدر من الشر أيضا يمكننا أن نجلس معاً مدة أخرى دون أن تحاول إقناعي! بل لأحاول أنا إقناعك بصرف النظر والكف عن محاولات إيجاد شريك! دعنا نتبادل الأماكن مرة أخرى. ولأكون صريحة معك، إن مخفوق الفراولة بالحليب هذا مغرٍ لأن أطلب لنفسي واحداً آخر.

طعمه لذيذ فعلاً .. لكن الألذ انت تستيقظ في كل صباح تردد عبارة شكسبير أن اليوم هو أول يوم فيما تبقى لك من عمر! دعك من أن كل يوم هو أول يوم فيما تبقى لك فعلاً وأننا لا نحتاج لملاحظات شكسبير العبقرية وإشاراته الفلسفية إلى ما هو واضح بذاته. لكن تخيل أن يكون أول يوم فيما تبقى لك خالٍ تماما من ألاعيب مخلوق أنثى ال "طنط" وكمائن المقابلات وإجبارك على تعديل صورة ملفك الشخصي على فايسبوك قبل كل مقابلة منها. أنت لم تعد بحاجة إلى الخضوع لتقييم الآخرين! سواء كنت طويلاً، قصيراً، بدين، عصا مكنسة جافة، قوقازي، قبجاقي، غني، فقير، طبيب ذائع الشهرة أو حتى محاسب مسكين وجبت لك الزكاة. كل هذا لا يهم! أنت لنفسك كما أنت. لست في حاجة لمن يتقبل عيوبك لأنها تخصك وحدك، كما أن الحياة أضيق كثيراً من أن تتقسامها مع آخرين، بل أن العالم – وبصراحة – لم يعد قادراً على استيعاب المزيد من الضغط فوق تعداده السكاني الذي

أصبح يكتظ بالحمقى بما فيه الكفاية! فكر في حريتك الأبدية بشكلٍ أكثر جدية.

دعك من طرحي الذي ربما تراه يستخف من جهد بحثك عن شريك، ما رأيك أن ننظر للأمر بشكل أكثر شمولاً؟ نحن نخضع بشكل أو بآخر لنظرية تناقص المنافع الحدية! وكما ذكرت لك أن فرص كل منا تتضاءل مع الوقت، وأن مقابلات كهذه تتقلص أعدادها تدريجياً دون تفرقة وهو ما يعني أننا بدأنا نستعد وإن لم نصارح أنفسنا للحظة التوقف النهائية التي باتت قريبة. ومع قرب الوصول أدركنا ضرورة التنازل عن بعض ما نبحث عنه في الشريك المنتظر، ومع التكرار ربما لا يشكل أي شيء مما كنا نبحث عنه أهمية في المستقبل! وسيكون خيارنا في النهاية أن نتوقف لأن البحث في حد ذاته لن يصبح مجدياً بعد الآن، أو نكتفي فقط بالبحث على أمل أن نجد شريكاً بغض النظر عن أحلامنا عنه.

سيمر الوقت ثقيلا ونحن نكتشف أن لا وجود لفرسان الأحلام والأميرات في عالمنا، وأن الواقع – للمفارقة – أعمق كثيراً من لزوجة أفكار المراهقين التي طالما اقتنعنا بها. سنكف عن البحث عمن يكملنا أو يتقبل عيوبنا لأننا باختصار نشارك الآخرين نفس عيوبهم تقريباً! ، فلا جدوى من أن تستمر بالبحث عن شريك في النهاية هو نسخة أخرى منك بشكل أو بآخر. سنتوقف للمرة الأخيرة، وبعدها يمكننا النظر إلى ما تبقى لنا من عمر بشكل مختلف.

لكننا أيضا سنظل نتساءل ماذا بعد النهاية؟ ماذا بعد بلوغ الضفة الأخرى وكيف سيكون شكل الوحدة في صورتها النهائية أخيراً؟ وماذا عن صراع الفطرة الذي سيحتدم بحثا عن كل مدخل يلقي باللوم على اختياراتنا من خلاله؟ كلها أسئلة لن تجد إجاباتها إلا على الضفة التي سنتركها خلفنا. أما ما سنصبح عليه حقيقة ربما سيحمل من المفاجآت ما يكفي لنسيان كل ما يشغلنا الآن والبدء في طرح تساؤلات أخرى.

أخيرا أتمنى أن يكون حظك سعيداً في أول يوم فيما تبقى لك من عمر!

وأظنها اللحظة المناسبة لأن نقول وداعاً.

مصـــر كما أعرفها

على بعد سنوات ضوئية من بداية سرد التاريخ لحكاياته وقفت مصر كالعادة تسبق الجميع وتسرد حكايتها الخاصة. وكأن تلك البقعة الجغرافية مترامية الأطراف التي امتدت إلى آسيا شرقاً وإلى أغوار السواحل الإفريقية غرباً، بل وصلت إلى منابع النيل جنوباً تحمل سراً خاصاً بها حتى مع تقلص مساحتها عبر التاريخ ووصولها لخريطتها الجغرافية الحديثة لم يفتت الزمن رونقها! مازالت كما هي، جوهرة قلب العالم التي ترفع علامة النصر مرتين! بدلتا النيل كأقدم بيرق يحمل أعظم علم في التاريخ مرة وبسيناء محاطة بخليجي العقبة والسويس مرةً أخرى في رمزية تتخطى حدود التأريخ والتأويل والوصف.

هذه أرض لا يعرف النسيان لها مسلكاً.

بداية من الأهرامات التي رفعت سقف التحدي لعلوم الهندسة قبل إرساء قواعدها مروراً بدقة النحت الذي عرف النسب الذهبية قبل تصبح معادلاتها الرياضية معروفة لدى العامة لشموخ الدير البحري وحتشبسوت وطريق الكباش وفيلة في وجه الزمن، كتاب الموتى الذي حجز مكانته كأحد أعظم الإنجازات الإنسانية على مر التاريخ! وصولاً لإسكندرية المقدوني ثم أديرة سيناء حتى شارع المعز الفاطمي أكبر متاحف العالم المفتوحة.

وعندما أطلقوا عليها مقبرة الغزاة لم يكن هذا أيضا من فراغ! فمنذ بداية الزمن والتاريخ وهذه الأرض تتحطم على أطرافها أطماع الطغاة. فعندما انزعج الهكسوس من صوت أفراس النهر فى طيبة أخرجهم أحمس من التاريخ حفاظا عليهم من طنين الذباب. رمسيس منع تقدم الغزو الشرقي بنقل المعركة إلى أرض المعتدي! ومع عبور التتار لنهر دجلة فوق تراث العالم في بغداد انكسرت شوكتهم على الحدود المصرية. سارى عسكر نابوليون في أوج قوته ونفوذه رحل ولم يستطع

المقاومة. جنود إمبراطورية الشمس عاشوا جحيم المقاومة الشعبية في مدن القنال.

حتى أحلام بنجوريون وجولدامائير واسرائيل العظمى بتفوقهم العسكري والتكنولوجي الهائل وأساطير ما خلف جدار بارليف تبخرت على الضفة الشرقية للقنال بمجرد خرطوم مياه!

بدأنا الصفحة بالعجلة الحربية والرماح والسيوف حتى وصلنا للميج وعبقرية سلاح المهندسين والمجند صائد الدبابات والمجند الذي يحتضن إنتحارياً وهو يعرف يقيناً أن كل خطوة نحوه ربما كانت الأخيرة له على هذه الأرض.

من قادش ومجدو مروراً بمعركة نزيب ثم إغراق إيلات وحتى العبور التاريخي.

بداية من توحيد القطرين ثم بسط النفوذ ما بين إفريقيا وآسيا حتى توسل الحاكم العثماني للروس أملاً في وقف الزحف على الأستانة حتى ١٩٧٣/١٠/٢٨ وقبول وقف إطلاق النار.

لتبقَ في النهاية حقيقة واحدة لا تقبل الجدل أن مهما اختلفت الأزمنه والعصور لا يبقى منهم شيئاً في النهاية سوى قبر شاهد على أن هناك من تجرأ وحاول اختراق خصوصية أرض حفرت مكانتها منذ آلاف السنين. ثقافة وهوية استوعبت بمرونة كل مراحل تطور الإنسانية وضوابط الأديان دون أن تفقد هي شيئاً من خصوصيتها تلك!

من يملك قامات بعظمة حور محب ورمسيس والرفاعي وعبدالمنعم رياض وأنور السادات وكيرلس فاضل حبيب وعبدالرحمن محمد متولي ومحمد أيمن شويقة وعادل رجائي وأحمد المنسي؟ .. واقرأ الفاتحة فأنت في حضرة الأبطال شهداء الأرض والواجب.

أمحوتب وحم أيونو وميريت بتاح وسميرة موسى وجمال حمدان وزويل ومجدي يعقوب؟ محمود مختار وبيكار وتحية حليم؟ نجيب محفوظ وأحمد شوقي وجاهين وعمار الشريعي وعمر خيرت؟ خضر التوني وأبو هيف وكرم جابر وشريف عثمان وراندا تاج الدين وسارة أحمد وهداية ملاك ومحمد إيهاب؟

فلا تغرب شمس حقبة إلا ولنا فيها يد رفعت العلم في كبرياء وشموخ، لنثبت لأنفسنا ولأجيال سبقت وأخرى تنتظر الميلاد أن الزمن على قدمه واتساعه أقل كثيرا من أن نملكه. فنحن القادمون من الغد، والباقون للأبد.

وعلى سبيل الزهو يمكننا أن نسرد أيضاً حين وُضعنا كقطعة دومينو في مقدمة التساقط الفوضوي لم يحدث! ربما تأثرنا قليلا، لكننا كنا قادرين على الصمود والعبور كأحد الأشياء التي برعنا فيها عبر التاريخ. حاولوا حصارنا بخلق صدام عبثي بين الأديان والهوية، بتسفيه كل

بطولة وتجريف ما استطاعوا من ثوابت، لكنهم فشلوا وانتصرنا. بعبواتهم الناسفة وإجبارنا على توديع أبناءنا بالدموع، لكننا كنا نستقبلهم بالزغاريد! فمن الصعب على من عاش حياته طريداً ملثماً يختبئ في الشقوق ولا يجد ظلاً إلا العراء حتى ينفق ليصبح جيفة تأبى الجوراح والرميات أن تقتات على جثته أن يفهم معنى الخلود كما نعرفه نحن، أو أن يدرك كنكره عاش حياته ليموت دون أن يهتم لأمره أحد ماهي أبدية الذكرى في وجدان الوطن. حتى من الداخل بعد أن تمكنوا من زعزعة إيمان الضعفاء ليلعبوا دور الحجر الذي يشدك نحو الأعماق كلما حاولت أن تصل إلى السطح لتتنفس! ولكن من يقدر؟ هي أرض ليست للحرق، ووطن غير قابل للإستنزاف، ولغة لم تعرف قواعدها معنى للمستحيل.

هذه الأرض لم توجد عبثاً، ولم تصل إلى ما وصلت إليه برمية نرد، ولم يكن تراث الأجداد على الجدران توثيقا لحياتهم فقط! بل علينا أن

نفهمه كرسالة تذكرنا بما هو مُقدر لنا منذ أن بدأ الحقد يسري كمجرى الدم.

وعلينا أن ندرك دائماً أن لا قومية ستعلو فوق قومية الوطن ذاته ، ولا هوية ستشوهُ رغم كل محاولات الطمس، ولا ماضٍ هنا يصلح للسلب بمحاولة نسبه لآخرين. حتى وإن تمادوا في تصوير معنى كالوطن كمادة للسخرية والإشارة لألوان العلم بالقهر والدم وتكالبوا على إثبات أننا مجرد ماضٍ نستحضره على سبيل الفخر الزائف سنبقى نحن من نقود الركب حتى النهاية. وسنظل القمة التي لن يستطيع أحدهم أن يصل إليها أو يتربع فوقها متفاخراً لأن لا قمة أخرى قادرة على أن تزاحم منتهى القمم في مكانتها.

حتى وإن كان ما نعاصره ليس جديراً بحقيقتنا أو بمكانة حجزت موقعها بتراكم العلم والإتقان، لا بد أن نتذكر أننا من نحمل الأكواد الوراثية، نحن الفجر الذي يأتي بعد طول ظلام ليبشر بقدوم الشمس،

نحن في النهاية من نجلس لنقص ونروي ماذا فعل كل منا في موقعه، ومن نحمل صبغة هذه الأرض مهما طالت فترة التخبط. مهما أبدى الحاقدون إنزعاجهم، ومهما تزاحمت لعناتهم في حناجرهم حتى اختناقهم من فرط الغل، ومهما كان حجم العراقيل في طريقنا نحو ما هو مرسوم لنا قبل بداية التاريخ سنبقى كما كنا، كما نحن، كما هو مقدر لنا أن نكون.

وسيبقى حورس يمارس هوايته، يعرف كيف يجد "سِت" ليمحو آثار وجوده مهما تغير مع الزمن، أو تبدلت ملامحه وأساليبه. نحن قدر قائم بذاته، نحن مصر .. وهو ما يكفي تماماً لنعرف من نكون، وهو ما يكفي أيضاً ليدرك الآخرون أحجامهم الحقيقية.

استراحة

مسـرح ..

تكتب أنت فصوله الأولى

قرب وماسك في إيده عكازه

ممل .. وإن كان ده سر إعجازه

بدأ كلامه ببطء ..

وكإنه خايف من كسر السكوت والنطق:

من غير مقدمات عن عرضنا ..

لأن كل العرض جوه التاريخ

ملوش مصدر

يعني لحد الآن ملوش تحريف

والفرق فيه شعرة ما بين الصدق والتزييف

لكن انتباه .. كل اللى قدمناه

جايز يكون تخاريف ..

هاتشوفوا زيف الضحك لما بترسمه المساحيق

كل الوشوش .. وكإنها بحق وحقيق

وأصل الحكاية اتربط على حبلين بيتمرجح

ما بين غوايتك وإجبارك على التصديق

مسرحنا مش زى أي مسرح خشب

مفيش عرايس فيه ..

لا خيط ولا سقفة

ولا طوابير متفرجين واقفة!

إحنا اللى عشنا قبل اختراع القتل بالصواريخ

ولأن أول فصول التاريخ كان قتل ..

ولأننا مابنكتفيش فقط بالنقل ..

فأهلا بيك جوه التاريخ ..

-- -- --

المشهد الأخير

لقد انفطر قلبي يا صغيري، تخون بال؟ وقبل أن تثير استغرابي بنظرة إزدرائك تلك لأنها ستظل مرسومة على ملامحك طويلاً، وقبل أن تتساءل لم قد أدعوك بصغيري فهذا لأنني لا أحفظ أسماء عبيدي! كان يجب أن أخبرك أن الخيانة ليست كما تراها أنت وأمثالك من منظوركم الضيق! لم يكن ليشغل بال أن تترك عمل المطحنة لتتقن فنون النحت مع باهيا، أو أنك لم تكن تطيق عملك مع عاتارا رغم أن بال هو من كلفك به! وتكافئني في المقابل أن تتجسس على جلساتي معها! رغباتك هي ما لم يكن ليشغل بال وقد أخطأت لو فكرت في مثل هذه أسباب.

لكن أخبرني، هل تؤلمك هذه الأصفاد؟ بال يكره النظر إلى شخص مكبل الأطراف. وهذا جدير بعقاب من فعل هذا طبعاً لأن الأحمق نسي من

تكون، ونسي أيضاً أن من واجبه تكبيل العنق أيضا! وحتى يتقدم هذا الغبي من صفوف الحراس بنفسه ليكبل عنقك ثم يضع نفسه في السجن حتى أحسم أمرى معه دعني أخبرك أن الخيانة عند بال هي أن تخون ما أعتقده عن نفسي! أنت خائن لأنك غبي! تخلفت عن الرَكب بحثاً عن الحقيقة. أنت جاحد لم يعد يرفع صوته بالشكر، لم يعد يكفيه بال رغم كرمه حتى وهو مازال أمامك وقد قرر أن يخبرك طواعية بكل شئ حتى لا تضطر إلى التلصص بعد الآن. وكما العادة وبرغم أن بال يجاهد كل ما في نفسه من شرٍ ليبقَ رحيماً قدر الإمكان، وبغض النظر عن احتمال اهتزاز قوة بال في عيون الآخرين، قد رأى بال أن ساعتك لم تحن بعد.

سأمنحك الفرصة لترَ بنفسك أن بال لا يختلف كثيراً عمن تدعوني بالشيطان من أجلهم! لا يختلف في عطشه للقوة عن هؤلاء الذين يدعون الغضب ولا يجرؤون عليه. لم يقنع يوماً ولم يسيطر في لحظة على أطماعه تماماً مثل الجميع! لكن الفرق أن بال يعرف متى يظهر

طمعه، ومتى ينتزع أطماعه حتى لو كلفه ذلك أن ينتزع معها حناجر من يجرؤ أن يقف بين بال وغنيمته.

نحن لا نختلف كثيراً لو أمعنت في التفاصيل، وتذكر يا صغيري أن بال ليس هو من قتل عاتارا بل أنتم! هل تذكر من صرخ فيكم وهو يقطر حقداً: "أريدها أن تتمنى الموت فلا تشم له رائحة"؟ هل كان بال من أمسك بشعرها وأخذ يجرها فوق الحصى والروث دون يحرك صراخها في داخله أدنى شعور بالرحمة؟ لكنك لن ترى يوماً ما يراه بال، سيظل خيالكم المحدود أسيراً لما تعتقدوه عن أنفسكم وهو شئ لطالما راق لي.

وبالحديث عن عاتارا – ليغدقها إله الأرض برحمته، أو ليلعن روحها فالأمر سواء – دعني أكمل لك باقي الأحجية التي لم تستطع أن تسترق استماعها أيها المتلصص.

لقد كان بيني وبين عاتارا إتفاقا غير معلنٍ أن يسود بال في الحكم، وتسود هي إدارة الأرض. لكنها رغم كونها أفعى لا يشق لها غبار ووريثة

لسلالة من المتحالفين مع الشياطين لم تنتصر على كونها أنثى تعشق الثرثرة ولم تستطع الكتمان!

الكل بات يعرف حتى العبيد أن عاتارا ستسود الأرض. بل أنها وأخيراً ستحقق أحلامها وأحلام أجدادها من متسلقي رقاب العباد بامتلاك جزء من الأرض! وأظنك على قدر من الذكاء لتعرف ما كان مقابل صفقة كتلك؟

بالضبط .. أن نزيح باهيا عن الطريق، لكن حكاية باهيا لم يحن وقت كشف أوراقها بعد.

وبغباء لا أملك حتى أن أحسدها عليه ظلت عاتارا بعد أن تخلصنا من عقبة باهيا تُلح في إتمام ما بدأناه! ولو أن بال التزم بما وافق عليه سلفا لاحتقر نفسه أشد الإحتقار! هل يرضيك أن يفرط بال في الأرض لحفنة من أبرع اللصوص المرواغين المتشدقين عبر التاريخ؟ ولعلك تستغرب وكذلك بال أيضا لا يجد لذلك مبرراً لأنه لم يكترث يوماً

للأرض! ولكن كان عليها من البداية ألا تساوم بال على مطامعه المشروعة.

لهذا وقف بال يوم التتويج ليعلن أن الأرض هبة منه لعبيدها، وبما أن العبيد أنفسهم من أملاك بال فقد عادت الأرض التي لم يخسرها بال من الأساس إليه! كل ما كلفني وسوف يكلفني هي بعض أجولة الحبوب والفواكة التي ستجعلكم تنشدون الأهازيج حول كرم بال العظيم ورحمته. ورغم أن بال كان يستعد لإستقبال بعض النواح على حق تم إنتزاعه بغير حق – وهو حق – لكن المُلفت أن ذلك لم يحدث! وكأن حضور القمح له قدسية تفوق قدسية أرضٍ، أو أن الشبع مهما كان مؤقتاً فهو كافٍ لعلاج حناجراً تقرحت من كثرة الهتافات.

ولنتفق على حقيقة أخرى .. بعضكم أيضاً لا يهتم للأرض وإلا كيف أصبح بال على ما هو عليه؟ آفتكم أنكم مازلتم تعتبرونهم منكم، تنساقون خلف كل ضجيج يفتعلونه بحماسةٍ تعجبني! ولم يلفت

انتباهكم ولو للحظة أن جماعاتٍ كهذه تمثل كنزاً بالنسبة لي لأننا نتشابه إلى حد بعيد، نعرف أن الأرض ليست إلا وسيلة نتلاعب بها وصولا لغاياتنا ونتاجر بها بعضنا على بعض ليبدو كل منا أمامكم أنه صاحب مبادئ! نتبارز في عرض مسرحي مستمر أمام جمهورٍ يجهل ما وراء الكواليس ولم يفطن بعد أن كل ما نقدمه أمامه هو محض هراء .. لأن بال سيبيع الأرض ومافوق الأرض وتحتها بكيلة قمح لن تشبع أفواه جياعكم حتى يحين موعد الحصاد الجديد في سبيل أهدافه. وهم لن يفعلوا شيئاً مختلفاً مهما تشدقوا بغير ذلك سعياً لنفس الشئ الذي يسعى له بال! وفي معترك نفاق كهذا لابد أن نحتفظ بسلاح نجيد إشهاره فى وجوه الآخرين وكأننا أصحاب قضية، بينما لا تكفون أنتم عن إبتلاع الطعم وقبول الخدعة. أحسنتم!

لا يهم .. أنت تعرف بقية ما حدث. عاتارا تلوح في وجه بال بالغضب والإنتقام – المسكينة – ثم تحاول قلب المعادلة لصالحها بإخباركم أن بال تآمر ضدكم وضد باهيا ليبسط نفوذه عليكم! لو أردت أن تستفيد

شيئا من موقف كهذا عليك أن تعرف أن الغضب أحمق، ويعمي صاحبه عن هدفه. لكن ما أثار الدهشة في نفس بال حين كانت هذه هي المرة الأولى التي لم تلجأ فيها سليلة اللصوص للكذب! كل ما قالته كان حقيقياً وللعجب أن كلفتها الحقيقة مغادرة عالمنا بلا رجعة! لكن دع بال يسألك سؤالاً ربما يعرف إجابته سلفاً ..

لقد ثار جنونكم وقتلتموها انتقاماً لخداعكم وخداع باهيا ولم يتدخل بال لإنقاذها من بين أنياب الرعاع لأن من المبهج أن يتخلص أحدهم من حلفائك الحمقى نيابة عنك. لكن لماذا لم يجرؤ أحدكم أن يشير بغضبه نحو بال؟

دع بال يخبرك .. إنه الخوف! إنكم تكرهون كلانا كراهيتكم للموت، لكن الخوف وقف في صف بال ليمنحه الأفضلية كالعادة. الخوف يجبرك أن تتراجع خطوة للوراء لتعيد حساباتك قبل أن تفكر حتى في الصدام.

وهكذا انتهت عاتارا معلقة على شجرة لم يخلو شبراً من جسدها من آثار الانتقام والنزيف بينما لم يمس بال الأذى. كلانا امتلك الكراهية، لكن بال وحده امتلك الخوف.

والآن، ماذا عن باهيا؟ لقد أخبرتك عن الخوف وكيف يجعلك تتراجع قبل الصدام، وللحقيقة أن بال طالما تملكته الرهبة من تلك اللعينة! وهو لا يرى حرجاً في أن يعلن خشيته من باهيا للكثير من الأسباب. إنها ليست مجرد نحاتة لولاها لم يكن العالم ليعرف عن بقعتنا هذه خبراً، وأمثالي يعرف أن وجودها خطر عليه. هي الوحيدة التي يدرك بال في مستقره أن نهايته مرهونة بما يمكنها أن تفعل! في وجودها يشعر من هم مثلي بالعجز لأننا ندرك أن مهارتنا في تجارة الرعب – وهو كل ما نملك – لا يمكن أن نخدع بها عقلاً تشبع مسبقاً بالنور.

كان بال لا يملك إلا الخوف والذي لم يكن ليسعفه في هزيمة عدو لا يخشى الخوف نفسه! بال كان في مأزق.

ولعمري كان من المشقة أن تزيح حجراً بحجم باهيا عن الطريق دون أن يشعر بك أحد! لكن سهولتها كانت تكمن في أنها لا تعي كيف تدار اللعبة، بل ويا لحماقتها تُصرُّ أن تخوض حرباً بلا أخلاق بضمير حي! ورغم أن بال لم يكُ مضطراً يوما أن يصطدم بها، ولآخر لحظة كان يتفاداها بصدق لكنها فعلاً تخطت المعقول سعيا لإفساد حصادي! كارثة .. لم يكن لينتظر بال حتى يفقد أهم سلاح في ترسانته أبداً! أشد ما يثير الغيظ في نفسي أن تستشعر عقول العوام خطواتها بعيداً عما يرسمه لهم بال. لابد أن تبقوا مؤمنين بما يؤمن به بال!، أبطالكم هم أبطال بال، أعداؤكم هم أعداء بال، أساطيركم هي ما يقصه عليكم بال! لا حقيقة إلا ما يصدقه بال ولا خرافة إلا ما يشير بال إليه بالكذب. كان لابد أن يبقى بال هو كل ماتحتاجون إليه من حواس، فأنتم لا يجب أن تعرفوا العالم إلا عبر بال! لذا كانت باهيا أخطر على بال من نفسه.

ورغم ذلك كان لا يمكن أن أتخلص منها بدافع الانتقام كما فعلتم مع عاتارا المسكينة! – ليغدقها إله الأرض برحمته أو ليلعن روحها فالأمر سواء – لم يكن من الحكمة أن أدفعها بالصدام نحو القمة، أو أكسبها بغباء رعونتي ما يمكنها أن تنتصر به على بال حتى وإن كانت جثة! ليس من السهل إدراك أن صدامك الأبدي مع شيء لا تعرف كنهه ولا يمكنك هزيمته أيضاً! فتصبح مجبراً على مجاراته وفي كل مرة تلوح لك أدنى فرصة لتشويه عدوك تفعل ما في وسعك لتنال منه وبدون القضاء عليه، حيث يغدو النصر أو الهزيمة اعتباريان لا ثقل لهما في الواقع. وحتى لو كانت قوانين الكون والتاريخ نفسها تقف في صالحها دائماً، ف بال لا يشغل أفكاره بما يحمله المستقبل طالما كان يحكم قبضته على الواقع ويطيل أمد الحسم بإنهاك خصومه لربما يستطيع تغيير المعادلة.

أما كيف أصبحت باهيا من نحاتة تجوب شهرتها الأرض من الحافة إلى الحافة لسجينة تدنس معبد بال بتواجدها في أظلم زنازينه، فالأمر كان

بسيط رغم ما أوحى به من صعوبة في البداية. ودائماً ما يمكنك استفزاز أمثالها حتى يتمكن منهم العناد ويخالفوا قوانينك التي رسمتها لهذه اللحظات الثمينة خصيصاً! ، وللمفارقة يا عزيزي أنها لم تتردد في الوقوع في شرك بال. كانت خطيئتها التي سعى بال إليها أن تشعر بالظلم بدلاً عنكم! بال يستطيع إسكات صوت واحد مهما بلغ من قوة بقوة قوانينه طالما أحكم سطوته على بقيتكم بسلاحه الوحيد الذي يجيد استخدامه! لأنه يضمن أن لا أحد سيجرؤ على مواجهة بال لأن لا أحد منكم أيها الرعاع مثل باهيا.

وكعادةٍ لا يرجو بال أن تزول قريباً لم يكلفني شراء الصمت إلا غباءَ الآخرين! صراخ الغضب يتلاشى وسط صيحات التهليل لـ بال العظيم! تخيل متعة الإسكات ببعض الحبوب التي سيعملون مقابلها ساعات مضاعفة! بتخفيف الديون بديون أكبر! إغراؤكم بما لا تتحملون تكلفته حتى تبيعوا أنفسكم سعيا لإمتلاكه! دائما ما يمتلئ الفخ بهؤلاء الذين يتطوعون للوقوع فيه ولهم عظيم الإمتنان على ذلك.

لا أنكر يا ابن الراعي أن في لحظات كثيرة راودتني تلك الفكرة أن يحتفظ بال بمعابده وتجارته وعبيده ويترك سباق السلطة لـ باهيا بعد أن سعت إليه نكاية في بال! الأمر كان كفيلا بتدميرها بعيداً عن يداي الطاهرتين. إن البشر الكُسالى – أمثالكم – بطبيعتهم يفنون حياتهم بحثا عن ذلك القائد الذي يتحمل لعنة أن يتولى مسئولية إطعامهم. وحتى لو كان ملاكاً سترون فوق رأسه أطول قرون الشياطين حين يفشل! ستحرقون أجنحته في ليالي الشتاء بحثا عن الدفء الذي لم يستطع توفيره. هو لن يعود نفس ذلك الملاك الذي تمنيتم يوما أن يتنازل عن مكانته لينظر لكم بعين العطف، ستأكلونه حيا.

وفي حقيقة الأمر كانت ستفشل في إطعاكم وفي توفير حياة الترف التي تحلمون بها كما سيفشل غيرها وكما سيفشل بال بالطبع! لكنها وحدها بين كل هؤلاء المتسابقين تدرك معنى أن تحترق سواعد الرجال تحت حرارة الشمس. وهنا كان الصدام ليكون حتميا بين عجزة لا يقدرون أن يقرروا شيئا لأنفسهم ويكادوا يعبدون من يقدم لهم صحناً مليئاً

بالطعام، وبين من تحاول أن تغرس في نفوسكم قيمة ما تفعلون! بعكس بال الذي سيفرقع السياط فوق رؤوسكم لتفعلوا ما يأمر به فقط.

كانت حينها لتصبح فرصة مثالية يتدخل بال كعادته ببديل لا يمكن لغيره أن يقدمه وإقناعكم أن الفقر ليس إلا ابتلاءَ الإله ليختبر بسالة إيمان الضعفاء! الفقر مسئولية كل مقتدرٍ لا يريد أن يتاجر مع بال ليربح ذهباً في حياته القصيرة فوق الأرض ونعيماً في حياته الأخرى. كل ما كان عليكم أن تصدقوا بال فتعملوا لديه طواعية وتنعموا بعطاياه الأبدية، أما بال فكان كفيل بملئ قلوبكم بالحقد لتعملوا بجهدٍ أكبر.

لكن ما كان دوماً يمنع المضي في طريق كهذا هو أن يكشف بال كامل أوراقه أمام من تجيد إحراقها ببراعة! ؛ لهذا سعى بال لامتلاك كل شئ من رقابكم وزروعكم حتى هذا العرش المزخرف الذي لا يطيق بال الجلوس عليه، لكن تكمن أهميته ليشرعنَّ بال كل ما ينوي فعله.

غدوت تعرف الكثير يا ابن الراعي كما تمنيت! لكن هل بات عقلك هذا قادرا على أن يعرف حقيقة بال؟ رغم كل هذه السنوات في خدمتي يبدو أنك لم تعرف بال جيداً وتتجرأ على أن تنعتني بالشيطنة والشر وهو ما يشعرني حقيقة بالظلم! بال شيطان؟

أحب أن أعرفك بنفسي .. أنا بال .. سليل نفسي وابن أحلامي البار. أنا بال .. خادم الإله الذي لا أؤمن به وسفيره في هذه الحياة أيضاً! أنا بال .. من يبيع لكم الهراء لتصدقوه ثم تفنون حياتكم دفاعاً عن كل هراءٍ أخبرتكم أنا به.

أنا رب القرابين والعطايا، مفتاح كل خزينة وخريطة أي كنز. كاتم أسرار كل من سبقوني من الملوك والسلاطين. ولحسن حظي وبسذاجة يحسدون عليها دائما ما كنت أنجح في إقناعهم أنني من أهل الورع والصلاح! آخذ منهم قدر ما أستطيع وأسخر منهم قدر ما أستطيع أيضاً

، ومهما كان حجم غطرسة التاج، فأمام الكاهن لابد أن يركع .. فتبدو أمام الناس أنها خشوع، لكنها في الحقيقة إطراقة ذل.

ولا تشغل بالك بتلك التماثيل والمنحوتات، فأنا من أصنعها، وأنا أصنع من يتضرع أمامها، ويمكنني في أي لحظة .. أي لحظة أشاء أنا .. أن أهدمها لأنني وحدي أعرف أنها لا شئ.

الحقيقة يا ابن الراعي والتي لا يمكنك إثباتها لأنك حينها ستغدو مهرطقاً يسهل عليَّ التخلص منك لإنقاذ العالم من شرورك وفتنك أني أتاجر بضعاف العقول، أتاجر بإيمان الأغبياء، أتاجر بحاجتهم إلى ضمير فأوفره ليخدمني! فأصبح أنا من يؤنب أحلامهم وأمانيهم وسعيهم نحو ما هو حق أو أفضل لأنهم لم يخلقوا لذلك، أو أخبرهم أنهم صالحون! فبرغم فقرهم وضيق ذات يدهم مازلوا يحاربون كل ما حولهم من غواية وفتنة ليشعروا بالراحة! وأتاجر بنفسي لو كان في ذلك منفعة.

أنا هنا من يدير حرب الفناء لأسود الأرض بحق، فلا مجال لأن تساوم بمن أسقطتهم من أسرى ولا يفيدك أن تطبب جرحاك فجميعهم في عداد الهالكين - ليغدقهم إله الأرض برحمته، أو ليلعن روحهم فالأمر سواء - أنا من لا يملك رفاهية التراجع ومن لا يمكنكم هزيمته أيضاً طالما لم تتوقف آلة صنع الساذجين عن الضخ بعد. وبما أنني أخبرتك أدق أسرار المهنة وهي سقطة مدوية مني في الواقع، أرجو أن تسمح لـ بال أن يدفن هذا السر معك. وقبل أن يتوقف قلبك عن الخفقان من فرط الرعب وجب أن أطمئن روحك لأن الدفن لا يعني موتك أيها المسكين! بل أن تحيا لا تقوى حتى على مصارحة نفسك بما تعرف لأن لا أحد سيصدق، بما فيهم أنت! هذه هي ساعتك التي رأى بال أنها قد حانت.

كدت أنسى! يمكنك أن تحل نفسك من هذه الأصفاد وقتما تشاء فلم تكن مقفلة من الأصل، وكان بإمكانك الهرب أو تمتد إحدى كفوفك المرتعشة لتلتقط سلاحاً من كومة وُضعت إلى جوارك عن عمد لتقتلني لكنك لم تفعل! هممم .. يبدو أن بال مازال في داخلك رغم كل شئ، والآن أصمت! بال يحب أن يسمع صوت بذوره في هدوء وسلام.

الفصل الثاني

مَـرايـا

دكتور جيكل ومستر جيكل برضه

منذ الصغر وأنا أحلم بنفسي أجلس على مقعد جلدي فخم أمامي الكثير من الميكروفونات والأقلام التي تكتب كل ما أنطق باهتمام يثير الغرابة! تقدمت صفوف الإذاعة المدرسية في الكثير من الأوقات، كنت في جماعة الخطابة، وهي أمور لم تكن تخلو من الميكروفونات والجلوس المنصت. لكن كان هناك دائماً ذلك الشعور بأن هناك ما ينقص المشهد. ومع الوقت أدركت أن كل ما فات لم يكن كافيا فعلاً، إن الهدف دائماً ما كان هناك .. في القصر! لذلك .. فقد قررت أن أتنحى تماماً .. ليس بهذه السرعة فأنا لم أنجح بعد! لقد قررت أن أرشح نفسي لرئاسة الجمهورية.

قد يتساءل بعض الحاقدين المدفوعين من أحد الخصوم قائلا: لماذا قد أرشح نفسي لمنصب كهذا؟ لكن الجواب على السؤال هو سؤال آخر

سيكون بداية إعلان إتقاني فنون مدرسة بروتاجوراس اليونانية في المراوغات اللفظية وهو لماذا لا أرشح نفسي؟ أنا مثلهم جميعاً! .. أتقن قص الشرائط الملونة وإفتتاح المشاريع ولدي هذا الإسم ذو الوقع الموسيقي الملفت الجدير بالزخرفة على الألواح الرخامية!

أنا محب للظهور الإعلامي، أحب قراءة الصحف – هذا فقط سيكون تصريح للحملة لكن الحقيقة أني لا أقرأ إلا بعض قراطيس الطعمية – والمجلات وأهوى بل أشعر في الكثير من الأحيان معهم بالألفة تلك الأقلام الشرسة التي تنهال على النظام بالنهش والتمزيق بنفس قوة تكالبهم على حجز أماكنهم بالقرب من نفس هذا النظام.

أنا أملك ما يكفي من "فولورز" قادرين على قلب أي معركة للهاشتاج في العالم الإفتراضي لصالحي في وقت قياسي. ما يميز أتباعي الأخيار عن غيرهم من لجان المنافسين الإليكترونية المدفوعة طبعاً أنهم يؤمنون بما يقومون به من خدمة هذا الوطن وشعبه. أسود شرسة جاهزة

للإنقصاض على كل من تسول له نفسه ولو بالتلميح أن يقترب بالسوء من زعيم المستقبل المنتظر.

أنا الممثل الوحيد وسط هذا الكم من المتبارزين في معركة العرش للبسطاء! أنا صوت الفلاحين في الدلتا، النجارين في دمياط، المطاريد في الجبال، حتى الحطابين في شيروود! أن تحمل عبء الطبقة الدنيا من الشعب يجعل منك مواطناً عالمياً من الطراز الأول. لذلك لا عجب أن يجتمع حول شعلة التغيير التي سأحملها الكثير من الحالمين حتى لو فصلت الحدود الجغرافية بيننا.

أنا ثَوري حتى النخاع! وبعد أن مر الوطن بسبعة عشر ثورة ربما أكثر أو أقل كنت مازلت سجيناً لدى كل نظام قمعي وتذوقت مرارة معتقلاته وكفوف مخبريه. والآن وبعد الحرية التي طالما انتظرناها أصبحت أملك ما يكفي من الصور التي تجمعني بقيادات أقراني من الحركة الشبابية ونحن نشير بعلامة النصر بجوار مدرعات الداخلية المحترقة.

وفي الوقت نفسه وبعد هدأت أصوات الميادين كنت أنا أول من شجع على أن يعلو صوت العقل على صوت الغضب لتستعيد عجلة الإنتاج قدرتها على الدوران! وقد أهلكني التحذير ألا تنساق جموع الشعب الواعية والمواطنين الشرفاء خلف هؤلاء الأشرار المأجورين الذين يريدون هدم الوطن والذين لم يبرحوا أماكنهم بجواري في صور المدرعات المحترقة! ولو كنا يوما رفاق ميدان فهذا لا يعني أننا رفاق أيضا في إغراق السفينة.

أنا كريم .. جداً .. سيكون هناك الكثير من الأغطية لمحاربة الشتاء القارس – تحمل شعار الحملة طبعاً – والكثير من المواد التموينية والزيت والسمن ومكرونة اللازانيا الملونة الشهية لمجابهة الغلاء الفاحش الذي يعانيه هذا الشعب بالإضافة إلى أنه من حق الفقراء أن يأكلوا اللازانيا! هذا كفيل بوأد الصراع الطبقي بمحاولة تقليل الفوارق الإستهلاكية بين الطبقات قبل أن نشعله نحن سعياً لمكاسبٍ أخرى ليس هذا وقت أن نعلن عنها. سيكون هناك الكثير من حملات التطعيم

والأدوية المجانية. سنعلم الأميين كيف يقرؤون أسماءهم، وكيف يبحثون عنها في الكشوف الإنتخابية.

وربما تكون مثل هذه الحملات تثير الحقد في نفوس الآخرين ليتساءلوا في خبث عن توقيت قيامنا بمثل هذه الأشياء في إشارة لإستغلالنا ألاعيب المال السياسي لكن هيهات! لن يثنينا الحقد المقدس في قلوب الأوغاد على أن نقوم بواجبنا الحتمي تجاه هذا الشعب الأصيل وسنعمل جاهدين على أن نوفر لهم كل ما يغريهم بإختياري في ورقة الإقتراع.

أنا مثقف أيضا! لهذا سيكون تواجدي في بعض النوادي الشهيرة أمر ملائم لمخاطبة الطبقة الناعمة والسعي نحو بعض الدعم المادي السخي من أمثالهم والحصول ربما – وهي آثار جانبية إيجابية – على عضويتهم الشرفية أيضاً. سأعمل على أن أستميل بعض الأقلام في صفي ليتشدقوا بما أملكه من وعي ورؤية قادرة على أن تنقل هذا

الوطن بين ليلة وضحاها إلى عالم تحلم به كل الشعوب الأخرى. هؤلاء الشرفاء المحاربين لهم مكان خاصة في قلبي العاشق للأدب، وسيكون رد الجميل بفوزهم بكل جائزة ووسام سأكون قادراً على منحه.

كدت أنسى! أنا من أبناء المشروع الإسلامي .. وسأحافظ ما بقيت في صدر الإمامة على المادة الثانية من الدستور وسأجاهد بكل ما أوتيت من قوة لتطبيق الشريعة طبعاً! لاحظوا القدرة على اختيار الألفاظ؟ ولا بأس من إعتلاء بعض المنابر وإلقاء الخطب في ضرورة التمسك بما فطرنا الله عليه دون تفسير. الغموض يفيدك بأن تبقى صاحب التفسير الوحيد الذي تحاول تمريره لعقول المخاطبين حتى وإن لم تملكه. ولا بأس من أن تشمل بعض هذه الخطب الكثير من السباب والشتائم للشخصيات العامة، ولنسمها فقرة ما يطلبه المستمعون! هؤلاء يحبون أن يروا في أنفسهم مظلومية أسعى لإظهارها قدر الإمكان والإستفادة منها. وبالنسبة للشخصيات التي قمت بسبابها فغالباً لن يتذكروا ما قلته في أول إجتماع غداء لنا معا بعد نجاحي، إنها هيبة

الدولة.

ولن أنسى الإشارة بالرمزية إلى مثلي الأعلى زعيم الأمة جناب الجاه الأعظم وفخامة الرأس الأعلى قائد فيالق المجاهدين ودرة تاج الرؤساء المنتخبين وقاهر الليبراليين والعلمانيين أجمعين الذين تكالبوا على إسقاطه وإسقاط حلم دولتنا الإسلامية معه.

وفي نفس الوقت الذي سأسعى فيه لإثبات إنتمائي للمشروع الإسلامي لن أنسى التأكيد على مدنية الدولة طبعا وضرورة النظر لتجارب من سبقونا في اللحاق بركب التطور والإستفادة منها قدر الإمكان. نحن شعوب متدينة بطبعها، لكن إدارة الدول ليست كذلك! ولن أنسى الإشارة بالرمزية إلى عام الظلام الأسود الذي خضناه وخاضته الأمة مجبرة حين سمحنا في غفلة وسقطة تاريخية لن تنساها لنا الأجيال القادمة أن يعتلي هؤلاء المرتزقة ظهر الوطن بإسم الدين!

أن تتقمص شخصية جيفارا في نفس الوقت الذي تلعب فيه دور أبو القعقاع النرويجي ليس بالأمر الهين! لكن لو أمعنت النظر قليلاً لن تجد أي فارق يذكر بين مسبحة يمكن استبدالها بسيجار كوبي فخم، بين لغمٍ يتخفى بين المراعي وبين سيارة مفخخة كلاهما لا يفرق بين دماء من قد يصيب، بين الحرب لإعلاء قيم ومفاهيم الحريات المطاطة والجهاد في سبيل تطبيق الحاكمية الإلهية. كلها وسائل تخدم غاية واحدة في النهاية طالما كان الجميع يؤمن بميكافيللية السعي نحو الهدف. ومهما كان حجم الخراب الناتج أو إن كنا سنحكم أنقاض دولة، المهم أن تتغنى بأسماءنا الشعوب وتصنع من أهدافنا – بعد استغلالنا لهم – أساطير تتلوها أجيال بعد أجيال.

والخراب في معناه العام لا يخضع فقط لتفسير دمار الحرب! الحرب جزء من الخراب بالطبع، لكن من هنا أشار إلى حمل السلاح بشكل مباشر؟ فتسطيح مفهوم الوطن سلاح، معنى الأرض بلا حدود أو هوية سلاح، الشعارات المستهلكة أيضا سلاح، بل إن كل ولاء مستحدث قد

يزاحم أصل الولاء التام تحت العلم هو سلاح. المهم أن نجد من يجيد استخدام هذه الأنواع ونكسبه جندياً أميناً بين أبناءنا المخلصين! كل شيء جائز ومسموح به في سبيل الفوز بالإنتخابات. أما فيما يتعلق بالخراب فلا تنسوا أن شعارنا الدائم هو: الإيمان والبناء!

أنا لا أملك مشروع – كالعادة – لكني أملك الحلم! الأحلام هي أكثر ما نحتاج للنهوض من كبوتنا. لا أفهم حرفا في الإقتصاد، ولكن من يفهم؟ نظريات الإقتصاد الكلي والجزئي ومعدلات الإنحراف والثبات المعياري وتكلفة الفرصة البديلة وتناقص المنافع الحدية كلها نظريات تخص الكتب! لقد اخترعوا مسميات الإشتراكية والرأسمالية والإقتصاد الحر والبنوك الإسلامية ليجدوا طريقاً لتفريق أبناء الوطن الواحد وجعلهم في مواجهة بعضهم البعض وهو ما سيتم إيقافه في حال نجاحي ودمج كل هذه الخزعبلات والنظريات والسفسطة في نظرية جديدة موحدة ربما سنطلق عليها "إقتصاد البركة" وأنتم بالطبع تعرفون تلك الخدعة الأبدية حين نصرخ بالإعتراض على كل ما تفعله الحكومات ووصفها

بالفشل، وبمجرد أن نصبح نحن هذه الحكومات لن نفعل شيئاً عبقرياً يختلف عما فعله السابقون! لكننا سنتميز عن كل الآخرين بكوننا صرحاء وسنخبركم أننا بحاجة للكثير من الوقت لإزالة آثار فشل السابقين، وسنحتاج إلى الكثير من الضرائب وتخفيض النفقات وحاجتنا الماسة إلى التقشف أيضاً.

ويمكننا أن نخترع بعض أنواع الضرائب أيضا كنوع من التجديد المطلوب. الكثير نادى من قبل بضرورة أن يكون تنظيم الأسرة ناتج عن وعي المواطن بأمر كهذا، لكنهم فشلوا جميعا! لذا كان علينا أن نفكر خارج الصندوق، وليذهب هذا الوعي المنتظر للجحيم. سنقضي تماماً على الأمر من المنبع عن طريق فرض ضرائب غير مسبوقة على عقاقير الضعف الجنسي. حينها لن تزعجنا تلك الأصوات التي تلقي باللوم على عاتقنا بضرورة الإنفاق وتوفير الألبان والحفاظات بأسعار مناسبة! لأننا سنقلب عليهم الطاولة ونطالبهم بالنجاح في الإنجاب أولا بلهجة قد تعلوها الشماتة في الكثير من الأحيان.

وبرغم عدم معرفتي كيف سأدير الدولة في حال نجاحي، لكن الجهل لم يلغِ وجود الهيدروجين في الماء قبل إكتشاف معادلته الكيميائية مثلا!

تمسكوا معي بالأمل، اصطحبوا أقاربكم وذويكم وتوجهوا نحو صناديق الإقتراع، ابتهجوا وأنتم تغمسون أصابعكم في قوارير الحبر الفوسفوري، لكن تأكدوا أنكم أشرتم بالعلامة في المربع المخصص لي! سأختار لنفسي رمز "الأراجوز" .. أما اسمي، فستعرفونه بمجرد أن يقع نظركم عليه.

الوسادة البالية

على الرغم من أن ما يربط بيننا مازال عالقاً فى أحلامي التى أنسجها عنها، إلا أنها أقرب إليّ ممن يزعمون ذلك. أعرف صوتها و إن لم أسمعه، وأنتظر إطلالتها رغم أني لا أعرف لها موعدا! صوت ضحكتها أصبح مألوفاً وكأن الخيال قد سجل لها موجتها الخاصة فلا تحيد عنها ولا تتغير.

أعرف أيضاً أن لها ذلك الوجه الذي ما إن تراه لتبتسم. وحين تبتسم هي، ترتاح .. تنسى معها ما كان النوم يجافيك بسببه. فجاذبيتها تتلخص فى أنها هى فقط .. فلا يمكن أن تجد لها شبيها أو بديل.

هي من ذلك النوع الذى يتغلغل فيك حتى تحجز لها مكاناً خاصاً فى عالمك، وتترك في داخلك فراغاً لا يملؤه سواها! تعرف أنها ستكون

جوارك وقت ما تحتاج لذلك، ستنقذك لو رأت هي ذلك. ميزتها أنها ليست تلك التي تعكس لك ماتريد أن تراه! هي تكمل ما لم يخطر ببالك أنه ينقصك لتشعر في وجودها بنوع من الألفة لا تجده إلا فيمن هم منك.

فيميل قلبك حيث تميل وتسري روحك حيث تسير.

هي كالفجر حين تغمرك الحياة بالظلال. هي كالشمس حين يحول الظلام بينك وبين الضوء. هي أجمل من أن توصف وأرق من أن تُغازل! في ضعفها لا تملك إلا أن تخور قواك، وفي قوتها تصبح بها أحد الخارقين! وفي حنانها لا عجب أنك لن تجيد سوى الغرق.

لكم رغبت في أن أبوح لكن العجز – أيا حبيبة قلبي – في كل مرة يغالب لهفتي بالصمت! لكم رغبت في أن أغامر لكن التراجع أضعف قدرتي على قتال الوقت.

لكن من يحب لا يخاف! هكذا أشد أزر عواطفي للنطق .. وما بين شد وجذب غالبت مخاوفي!

وها أنا على مسمع من إتساع الكون أبوح لك راجياً – أيا حبيبة قلبي – ألا تصدقي كل هذا الهراء .. رجاءً.

قصة مواصلتين

حين تجد نفسك عالقاً في الزحام لا يمكنك أن تخسر هيبتك في معركة إنتزاع المقاعد المعتادة. تحاول أن تشغل وقتك حتى إنحسار موجات التدافع البشري في تركيب الكلمات من حروف لوحات السيارات أو بقراءة العبارات التي تضع أمامك عمق خبرة السنين المتراكمة. لكنك تقف كثيراً حين تقرأ عبارة مثل: الحياة نقلة!

هكذا تقرأ العبارة خلف زجاج السيارة ليجبرك صاحب الخيال الجامح والقريحة المتقدة على أن تفكر في شئ واحد حين تقرؤها .. الجيربوكس.

وبعد هدوء الموج المتدافع ترى من بعيد مراقب الموقف الإفتراضي يقوم بإنزال رايته السوداء معلناً أنه الوقت المناسب لأمثالك بالبحث عن مقعده أخيراً، وكأي بدين يحترم تضخم كتلة دهونه ستحاول فتح

الباب الأمامي لكنك وكالعادة تجده موصداً من الداخل! يأتيك السائق مسرعاً ليبلغك كقنصل ديبلوماسي أوروبي يهتم بمبادئ الإعلان والشفافية أنه محجوز .. لقد أصبحنا نعرف قواعد اللعبة وبات من الثوابت الغير قابلة للتغيير أن الكرسي الأمامي كعربة السيدات في مترو الأنفاق. لا بأس، نظرة سريعة على داخل المقصورة تجد أن عدد المقاعد بالكاد لو وجدت أحدها فارغاً، فتسرع نحو مقعد شاغر في المنتصف قبل أن يظفر به غيرك وتضطر لخوض معاناة "رابع ورا" سيئة السمعة.

وبحكم العادة أصبحت تعرف أنه من الضروري أن تقوم بإعداد كل ما يمكنك أن تحتاجه في الطريق وتبقيه قريباً من متناولك، الأجرة في صورة "فكة" طبعاً، سماعاتك، هاتفك، كتاباً لو كانت المسافة تقتضي. والآن إكتمل العدد! وبدأت القافلة في شق طريقها .. بدأ صوت جورج وسوف يأتيك عبر مكبرات الصوت من كل صوب وإتجاه مزعجاً كعادته، يتمايل السائق مع كل حرف في نشوة كأن الكلمات

تصف معاناته الذاتية! يخرج يده مداعباً للهواء كحساس حراري متطور في طائرة مقاتلة فيكلفه ذلك سيجارته ليطلق سبة لا تتناسب مع وجود آنستين بالغتين بجواره! لكن إحداهن تطلق ضحكة مائعة مكتومة فيوجه السائق لها نظرة مبتسمة كاشفاً عن آثار التبغ على أسنانه! لقد عرف كيف سيهون على نفسه الطريق، ووضع نفسه في بؤرة التعارف الجاد ومركز ممكن نتعرف الكوني مستخدماً تكتيكاً بارعاً في الخداع الإستراتيجي وتم تنفيذه بذكاء يفوق قدرتك على إستيعابه.

خلف السائق يجلس روميو فارداً ذراعه فوق باقي المقعد مفسحا بتلك الحركة مساحة لرأس جولييت أن تجد مخدعا مريحا على كتفه. وفي حرارة كهذه ومع ضيق المساحة واستنفار جميع حواسك تتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أنك أمام رسمة كاريكاتير حية من نوع "الحب هو: أن تتحمليه في أسوأ حالاته"

تكتفي من ملاحظاتك وتقرر أن تدع الخلق للخالق .. تخرج كتاباً من حقيبتك الصغيرة، لكنك تعرف أن الخلق أنفسهم لا يدعون بقيتهم لخالقهم على الإطلاق! يتطوع من هو بجوارك لهدايتك وتسمع صوت لعابه قبل أن يهمس في أذنك وقد رسم ابتسامته السمجة ويقول في صوت خفيض: مش كنت تقرأ قرآن؟ ربنا يجعله في ميزان حسناتك يعني هيهيه .. فتشعر في لحظة أن الإنتقام يأتيك على طبق من ذهب وتسمع صوت مدحت شلبي في أذنيك وقلبه يكاد يتوقف وهو يعلن إنفرادك بالمرمى بينما تتخيل بقية الركاب في مدرجات الدرجة الثالثة يصرخون بالتصوير البطيء فيأبى الهداف بداخلك أن يضيع فرصة التأهل إلى كأس العالم وتشعر أن من واجبك إسعاد هذا "الجامهور" وتحقيق أهم تلاتة بونط في مشوار التصفيات وتقول له بنفس الإبتسامة الصفراء: أنا مسيحي!

للحظة تشعر أن الكرنفالات تملأ المكان، الإحتفالات تنطلق والسائق يترك عجلة القيادة ليقبل صورة هيكتور كوبر التي ظهرت من العدم

معلقة على التابلو بينما تتحول الفتاة بجواره إلى شيرين رضا فجأة وهي تلوح بعلم مصر في إبتهاج، حتى جورج وسوف بنفسه تخلى عن أحزانه المطلقة ليتضامن معك عبر الكاسيت الرديء ليغني لزميله حماده هلال بنفس الصوت المتحشرج "والله وعملوها الرجالة هاااهاى ورفعوا راس مصر بلدنا" بينما تعلو من خلفك أدخنة الشماريخ إبتهاجاً بانتصارك القاطع في حرب التدخل في شئون الآخرين.

لكنك تفيق من غيوبتك على نظرة عادل إمام لمصطفى متولي الشهيرة في فيلم الإرهابي! هناك خطأ ما تم ارتكابه في لحظة طيش ربما، وأمامك الآن إما أن تخرج رقمك القومي عارضا اسمك الثلاثي وتعتبر أن ما فعلته جزء من كاميرا خفية رديئة أو أن تغلق الكتاب بهدوء حفاظاً على مشاعر من أصبح شريكك في الوطن.

تخرج هاتفك وتضع سماعاتك وتقوم بتشغيل لعبة ما تضيع بها بعض الوقت، لكنك تفيق من إندماجك على نفس الشخص الذي ربما شعر

بتأنيب ضميره بعد تلك النظرة أو ربما آمن أخيراً بمبدأ أن الدين لله والميكروباص للجميع! بل ويسمح لنفسه أن يمد يده ليزيل السماعة من أذنك ويقول لك بنفس الإبتسامة: إنت مابتاخدش الصناديق ليه؟ وكأن هناك صلة جذب وعلاقة مغناطيسية غامضة بينهم وبين الصناديق بصفة عامة! هذا النوع من البشر قلبه متعطش للحقيقة بشكل دائم ولا يرى في محاولاته للتدخل في شئونك بحثاً عن إشباع فضوله المتزايد شيئاً من الحرج! في هذا الصندوق الميكانيكي الضيق تكتشف أنه كيان مصغر يعكس حقيقة العالم الخارجي فعلاً! .. حيث مساحتك الشخصية رغم ضآلتها هي مجرد وهم لا أكثر، بل إن الاعتراف بوجودها من الأصل مرهون باقتناع الآخرين بها من عدمه. لا مجال للهروب من قدر كهذا هنا.

تغلق اللعبة نهائياً وتحاول فقط أن تستمتع بالموسيقى دون أن ينزع سماعاتك أحدهم من جديد. الأمور مستقرة بعض الشئ ، هدوء نسبي لا يقطعه إلا طرقات شاب على كتفك من المقعد الخلفي فتنظر له فلا

يعيرك أي إهتمام بينما تمتد نفس اليد نحوك بمبلغ ما وهو يقول لك: إتنين من خمسين .. وهنا ينفجر السيرك في لحظة! تلاتة من عشرة، واحد من ستين، خمسة من واحد، أربعة من سبعة! ولا تدري كيف لتجمع بشري لم يعرف أحدهم الآخر من قبل – باستثناء روميو وجولييت – أن يجمعوا على إختيار شخص واحد من بينهم في لحظة صفاء روحاني نادرة فتوسموا فيه الخبرة وأقتنعوا أنه الوحيد الذي يصلح لوظيفة "لم الأجرة"؟

تحاول أن تبدو كأينشتاين ممسكاً بزمام الأمور وأنت تنظر لكل من يعطيك مبلغاً فتسأله بخبث ونصف عين كم تبقى له على سبيل إختبار سريع لقدراته الحسابية لكن الحقيقة أنك في مأزق حقيقي ولا تعرف فعلاً! وبعد عمليات حسابية أعقد من معادلات تخصيب اليورانيوم تكتشف أن تبقت خمس جنيهات يشترك فيها ثلاثة أشخاص مختلفين! السائق دائماً لا يملك فكة، هو مليونير متقاعد ومهما بلغ من التواضع لا يسمح أن يهين كرامته بحمل النقود المعدنية والركاب الآخرون

يتعاملون بالدولار تقريباً أو ربما هم قادمون رأسا من مطار شارل ديجول ولا يعرفون معنى "فكة خمسة"! وهناك أسود جائعة لا تكف عن الزئير مطالبة بالباقي!

تلجأ لربان السفينة مرة أخرى على أمل أن ينظر إليك بعين العطف ويساعدك في التخلص من هذا المأزق ولحسن حظك أنه يتجاوب، وبطريقة يحسدها عليه صناع أفلام السيارات يحافظ على سرعته بجوار رفيق له على الطريق ليقوموا بعملية تبادل للأموال! .. قواعد السلامة لا تهم كثيراً في موقف كهذا، المهم أن يعود حاملا الفكة وقد كان! لكنه يقوم بإرجاع نصف المبلغ لأن هناك شخص ما قرر خداع الأب الروحي ولم يدفع بعد! ومع الكثير من المراجعة لكل العمليات الحسابية تكتشف أنك أنت الذي لم يدفع حتى الآن! يعاتبك السائق بنظرة ذات مغزى عبر المرآة فتقول له بتلقائية ونبرة تعبر عن عميق اعتذارك: والمصحف نسيت .. وهنا عليك أن تبرر هذا اللفظ لبركان الفضول الجالس تماماً بجوارك بالكثير من الكليشيهات دون أن

تخاطبه ممازحاً الآخرين بعبارات مثل خلاص ياجماعة حصل خير وصلوا ع النبي..

والآن تبدأ في حزم أمتعتك المتناثرة إستعداداً للهبوط .. وفي العادة يقوم السائق بإنزال حمولته البشرية قبل المكان المخصص هروباً من دفع "الكارتة" حتى يدخل إلى المواقف المخصصة فارغاً ليقسم برحمة أمواته أجمعين بأنه "جاي فاضي" استعطافاً للآخرين بتخطي دوره ولكنه يقع في المحظور! كلهم يمارسون نفس الأساليب، وسينتهي الأمر بمشاجرة بالسلاح الأبيض غالباً والكثير من اللكمات والكلمات ذات النطق الغريب رغم أنها تشبه العربية هذا بالإضافة إلى أطنان الأعضاء التناسلية التي تخص أقاربهم المتناثرة في الأرجاء بالطبع.

تترجل من السيارة بعد أن تعيد السيطرة على مفاصلك وتبدأ بإلقاء نظرة الوداع على زملائك الركاب متمنياً ألا تجمعك بهم قوانين الصدفة مرة أخرى، ثم تقوم بالبحث عن وسيلة نقلك التالية .. التاكسي! سائق

التاكسي هو مخلوق مبرمج ذاتياً أن يسمعك بتقنية الـ"Delay" التي ربما تطورت في قوقعة أذنيه عبر السنين ليقوم بتهدئة سرعته قليلا بجوارك وبطريقة تسمح لك بنطق المكان الذي تريد أن تصل إليه دون أن يضطر هو للوقوف بشكل كامل. فإن لم يتوقف فهي إشارة أنك غير مؤهل ليضيع وقته الثمين في توصيلك وهو ما يحدث في الغالب. ولكن حين يتوقف على بعد مسافة كفيلة بتدريبك لنيل ذهبية الأولمبياد في منافسات المائة متر عدو فهي إشارة أنه وافق تواضعاً وكرماً وتفضلاً أن ينقلك حيث ترغب، وعليك الآن أن تتقمص دور بطرس غالي لبدء المفاوضات حول الأجرة المطلوبة.

لكنك في الطريق نحو التاكسي ولطول المسافة التي تقطعها حتى تصل، لا تنسَ بعين الخبير أن تلتقط العبارة المكتوبة على الزجاج الخلفي! هي تقول بلغة شعرية: على فين يا دنيا! لا أملك إجابة محددة في الوقت الراهن، المهم أن نتذكر تشغيل العداد.

حان وقت أن تستمتع ببعض الأغان الحزينة الأخرى والإيماء بالموافقة على كل ما يقوله كائن السواق دون أن تبذل جهداً في التفكير، فكل ما يقوله صحيح وله بعد فلسفي عميق لا يدركه أمثالنا "الفرافير" وإلا لماذا أصبح سائق تاكسي؟ ليبقى كل ما يشغل بالك هو كيف سيكون شكل مغامرتك القادمة مع المواصلات في رحلة العودة، هي مغامرة أخرى تستحق الإنتظار بالتأكيد.

كابوس ليلة شتاء

كانت إحدى أمسيات الشتاء الطويلة .. الساعة لم تتجاوز الثامنة مساءاً بعد، لكنها حقيقة كانت كمنتصف الليل. وفي جلسته التي تدرع فيها بعباءة من الصوف تحت غطاء بطبقتين جلس يشاهد التلفزيون بحثاً عن الضوضاء التي قد تبقيه يقظاً بعض الوقت. كل المحطات تقريباً تذيع نفس الشئ! لقد أصبح لكل محطة قناتين تم تخصيص الأولى لمهرجان التوك الشو، بينما الأخرى ذات شاشة مقسمة إلى مربعات وكل مربع يعرض لك بثاً مباشراً من محافظة ما حيث المواطنين مازالوا يحلمون بنصيب كل منهم في الثروات المنهوبة وحساباتهم التخيلية في بنوك أوروبا وشواطيء المالديف وكؤوس التيكيلا والسيجار الكوبي وقبعات زاهي حواس. بعضهم يرفع لافتات تشير لضرورة إحتساب البدلات على إجمالي الراتب ليس فقط على

الأساسي! بينما يظهر في كل مربع مراسل فاقد للسيطرة تماماً على الميكرفون الذي بين يديه وسط إبتهاج من حوله بتصويرهم وكأنهم في حفل زفاف. لقد نجحوا تماماً في تحويل الوطن من خريطة مترامية الأطراف إلى بنك محاط بكاميرات المراقبة.

وفي الليالي البرد، كان لا يحتاج إلى محمد منير لتذكيره أن الدفء يأتي من قربه ممن يحب قدر ما كان يحتاج إلى عربة جولف أو سكوتر كهربائي داخل المنزل لتوصيله إلى الحمام في كل مرة تمتلئ فيها مثانته بهذا المعدل كعداد كهرباء يدور حول نفسه بسرعة الصوت! لقد قرر تجاهل التحذير الأول محاولا الإنشغال بمشاهدة ثرثرة المراسلين. ومع تلك الوخزة التي نبأته بقرب الإنفجار ووسوسة شيطان الدفء بألا يفعل كان نداء الطبيعة أقوى! وبصعوبة خرج من بين الأغطية التي يغلف بها نفسه، وبدأ رحلة بحثه عن الراحة.

كان منزله مصمم بتلك الطريقة الحديثة التي يكلفه فيه الذهاب إلى مكان كمقصده المرور بطريق رأس الرجاء الصالح! يعبر الردهة ليفاجأ بكل المصابيح مضاءة فيقرر إطفاء جميعها، يمر بجوار المطبخ فيستوقفه باب الثلاجة المفتوح وقبل أن يهم بإغلاقه يسمع صوت هاتفه القادم من حيث بدأ تماما! لماذا الآن؟ قالها في نفسه وهو يفكر في أن الهواتف لا تعرف الإنتظار، وتعمل غالبا وفق قوانين "مورفي" حيث تتزايد أهمية الإتصال مع رغبتك في عدم الرد! هناك عمة لك تعيش في أستراليا أخفى جدك أمرها عن العائلة ولم يعد لها وريث سواك، وعندما يقوم محاميها الخاص بالإتصال بك تكون منهمكا في إلتهام عشائك مثلا وتقرر عدم الرد! في حين يكون أمامك متسع من الفراغ وصفاء الذهن لتتلقى إتصالاً من أحد أصدقاءك ليخبرك أنهم مجتمعون للعب الطاولة كعادة يومية أصيلة لا تحتاج للتأكيد بإتصال هاتفي! هكذا قرر أن يعود من حيث أتى ليلتقط الإتصال مرحباً بمن هو على الطرف الآخر الذي باغت ترحيبه بلهجة رسمية قائلاً: مساء

الخير! أنا شاكر عبدالحميد محامي السيد .. فيقاطعه بلهفة: من أستراليا؟ لكن رنين الضحكة ذات التردد المنخفض على الطرف الآخر متبوعة بتعريف كامل للشخص كانت كفيلة بتصحيح مسار الحديث.

كان المحام الخاص بزوجته السابقة الذي تولى قضية حديثة بينهم بعد الطلاق ويذكره بموعد جلستهم في محكمة الأسرة. وكان يمكن لهذا الإتصال أن يتأجل قليلاً لأنه في وضع حرج!

عاد نحو هدفه من جديد وقبل أن يصل رأى أن يعود للمطبخ ليشرب بعض الماء فربما يوفر على نفسه رحلة أخرى هو على يقين أنها ستأتي لا محالة في ليلة باردة كهذه! ولإغلاق باب الثلاجة أيضاً خشية أن ينساه مجدداً. فتح بابها كاملاً كاشفاً عن عراء الصحاري القطبية بداخلها ماعدا زجاجة ماء فارغة للنصف وطبق فليني به بعض قطع الجبن الرومي التي تستغيث من هول ما تعرضت له من جفاف. ولكن ما الذي جاء بهذا الشئ إلى هنا؟ كتاب في الثلاجة! سحبه خارجاً ووضعه

فوق الثلاجة مؤقتاً وبعد أن فرغ من زجاجة الماء وضعها فارغة تماماً في مكانها وأغلق باب مغارته الجليدية بإحكام ثم ألقى نظرة على أكوام الصحون المتراكمة في المغسلة وهو يفكر في إمكانية الصلح مع زوجته ومحاولة إقناعها ببراعة الشيطان في هدم البيوت وتفريق الأحبة لكنه أفاق من أوهامه على تحذير جديد فأخذ الكتاب مرة أخرى وغادر المطبخ نحو محطته الأخيرة.

هو لا يذكر متى استعار هذا الكتاب؟ لكنه يعرف لماذا قام باستعارته. وبرغم أنه لم يقرأ حرفاً فيه بعد، لكنه يدرك مدى أهميته في محاولة لفهم الواقع السياسي الذي يتشكل من جديد. ولا عجب في ذلك لأنه عصارة تجربة أحد أباطرة الأقلام السياسية في العصر الحديث! لابد أن يقرأ يوماً ليفهم، ثم يصبح بعدها قادراً على الإفتاء في كل شئ، متحدثا بطلاقة عن التعددية السياسية والإندماج الحزبي وتصحيح مسار الثورة ومعايير إختيار الرؤساء التوافقيين وإنشاء المجالس الرئاسية المدنية وجمع التبرعات إن لزم الأمر كأحد الضيوف الدائمين

على الفضائيات! الجلوس على القهوة يومياً شئ ممل ويحتاج إلى أحاديث تناسب طبيعة المرحلة وقد قرر أن يكون هو ذلك الشخص العميق الذي يفهم كل مايدور حوله لكن ليس اليوم، ليس الآن تحديداً!

أضاء مفاتيح الكهرباء بسرعة ووضع الكتاب على غطاء الغسالة أمامه تماماً حتى لا ينساه مجدداً في مكان غريب، خلع بنطال بيجامته وأخذ يستعد لوضع الجلوس المعتاد لكن القاعدة غير مستقرة! لقد نسي أن جزءً من الخزف مكسور بشكل لا يسمح للقاعدة بالثبات على الإطلاق! ، هو في مأزق حقيقي ولا يحول بينه وبين الراحة سوى سباك مخضرم بحوزته بعض الإسمنت الأبيض يصعب أن تجده في مثل هذا الطقس ومن المستحيل أن تنتظر حتى تعثر عليه!

بدأ ينظر فيما حوله على أمل أن يجد وسيلة أخرى لكن لا شئ قادر على أن يسعفه. عصا المكنسة الخشبية لم تؤدِ الغرض، علبة الشامبو انفجرت مخلفةً كارثة أخرى، الكتاب!

مد يده والتقطه من فوق الغسالة وجرب أن يعالج به مكان الكسر وللغرابة أنه ناسب موضعه تماماً وكأنه طُبع بهذا الحجم والكثافة ليناسب هذا الموقف بالتحديد في المستقبل! من هو المؤلف مرة أخرى؟ قالها وهو يقرأ اسمه للمرة الأخيرة تقريباً. ثم تابع بأنه لا يهم، هو عبقريٌ بما فيه الكفاية ليجد حلاً لأزمة هددت سلامته النفسية دون أن يقصد. هو الآن يجلس محققاً غايته أخيراً ومع إقتراب دخوله في حالة النيرفانا وتلك الراحة السرمدية وزفير التخلص من هموم الكوكب أخذ يفكر أن أول درس عليه أن يتعلمه عن السياسة أنها فن الممكن .

استراحة

متحف خلاصة الحكمة

أفلام الأكشن ببساطة هي فن تدمير سيارات طاقم العمل لاستبدالها بأخرى من طرازات أحدث بعد نجاح الأفلام فى دور العرض.

كان الحلم العربي أوبريت رائع جداً لدرجة تدفعك أن تظل نائماً لاستكمال هذا الحلم المبهر.

يراودني ذلك الشعور أن (حم أيونو) ذلك المهندس الفرعونى الشاب الذى قام بتصميم هرم خوفو أن طلبه قد تم رفضه مراراً لأن (نفرو بتاح عبد الجواد) رئيس هيئة المساحة والمسطحات الخضراء رفض اعتماد التصميم! ذلك لأنه لم يستوف الأوراق المطلوبة ولم يكن ملصقاً عليه (دمغة إيزيس).

الحقيقة هى رقاقة من البسكويت الهش والتي لا تحتمل الضغط أو المضغ، لذلك نقدمها للناس محشوة بالكاكاو أو مغطاه بالكريمة ونبيعها على أنها ويفر.

الديناصورات هي كائنات عملاقة لم تحتمل غلاء الأسعار وقتها فاحترمت تاريخها وانقرضت.

يقولون لك امسك العصا من المنتصف، لذلك تدرس الكيمياء بالصف الثانى الثانوى، تتزوج بسنت لتنجب طفلين تنتظر ليكبرا لتقول لهم نفس الكلمة قبل كتابة رغبات الثانوية العامة .. يموت الجميع ثم يحيى الله الأرض بمن عليها دون أن نعرف أين كانت تلك العصا التي أمسكها الجميع من المنتصف.

هناك دائماً عظة أخلاقية فى كل فيلم مسف يظهر للنور. أن تقول الأم لابنتها لا تفعلى مثل طنط، أو تقول لابنها لقد تلفت أخلاق البطل لأنه لم يكن يشرب اللبن.

كانت لديه الشجاعة ليقف أمام العالم مدافعاً عن حبه لها، ولم يجرؤ يوما على الإعتراف بالخطأ.

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، هناكل إيه بكره؟

أشعر فى بعض الأحيان أن أفكاراً عبقرية تنتظر أن تتدفق منى كالشلال! وما إن ترسو فكرة عندي حتى يكون وقت الغداء قد حان أو النوم أو تلبية نداء الطبيعة. ربما لم يحن الوقت بعد لترى عبقريتى النور.

للمدخن ميزة مبهجة وحيدة تجعله حين يتكلم تخرج كلماته أكثر كثافة وعمق.

كان يحبها جداً ولكنها لم تدرك ذلك، إنه ذلك الشعور المحبط أنك لن تستطيع إرتداء هذا القميص لأنك بدين أكثر من اللازم.

هي خبيرة في المطبخ الهندي الآن، تقوم بإعداد أي كمية من "العك" ثم تضيف الكثير من مسحوق الكاري لتداري فعلتها الشنعاء.

يعتقد العرب أن مصر هي الدولة الوحيدة التى تملك خط مواجهة مباشر مع إسرائيل، والدولة العربية الوحيدة أيضاً التى تملك جيشاً عليه أن يعلن الحرب تنفيذاً لرغبات كل أحمق بدين الأرداف يهوى الصراخ والتشدق بما يعجز عن فعله.

هناك بعض الأسئلة التى لا تجد لها إجابات مقنعة، لماذا تدور عقارب الساعة فى إتجاه عقارب الساعة؟

لا تعطني سمكة، ولكن علمني كيف أصطاد .. في الماء العكر.

إذا أردت أن تصبح فيلسوفاً فالأمر أبسط مما تتخيل! فقط اقتنع بأنك كذلك.

صورتك فى البطاقة الشخصية لا تمت بصلة لوجهك الحقيقي، لذلك يرتاب فى أمرك كل ضابط شرطة يطلبها منك.

كأي شجاع وقف ليعترض على قائمة زواجه، وكأي مغفل وقع أوراقها في النهاية.

كليوباترا .. ملكة فرعونية عظيمة تحولت إلى رمز للموت عبر بوابة سرطان الرئة.

ربما انتشرت البيروقراطية بسبب أننا نطلق كلمة تنظيم على أي مجموعة من المجرمين والخارجين عن القانون.

القانون ببساطة هو (خرم) إبرة يستطيع أن يعبر منه فيل المخالفات بليونة راقصات الباليه.

قال لي أن حبيبته تشبه فينوس فى كتب التاريخ! وبغض النظر عن كونه نصاب محترف، سيكتشف أنها ليليث ذاتها لكن عليه أن يخوض التجربة للنهاية.

أنتظر دائماً هذه اللحظات النادرة عندما ألمسها بيدي، أشعر وكأني أحلق فى فضاء سرمدي! نظرة واحدة لها تكفي لسعادة تغطي الكون على اتساعه، شعور ينتشلك من تلك الحيرة الغريبة ويزرع فيك الشعور بالأمان. إنها تلك اللحظة التى أتقاضى فيها مرتبى آخر كل شهر.

مصر بلد غنية بالثورات! بدأت حديثا مع عرابي ثم يوليو ثم يناير ويونيو .. لكن أهمها هي ثورة الشك لأم كلثوم.

هناك بعض الأسئلة التى لا تجد لها إجابات مقنعة، لماذا لم تكن تحضر أمي الساندوتشات بنفس الكيفية التي كانت تظهر بها على التلفزيون؟

اخترع الطلاب المصريون أغرب الأجهزة على الإطلاق، عدا ذلك الجهاز الذي يمنع اختراع مثل هذه الأجهزة في المستقبل.

إمرأة غير قادرة على المراوغة، إمرأة فقدت مرونتها التكتيكية.

تنظر لى بعين حانية، وثغر مبتسم .. ستفاجئنى أنها ترغب بشراء شئ ما.

(تقسيم الكعكة) مصطلح سياسي بلغ من العمق أن أخاف النطق به حتى فى يوم عيد ميلادي وأترك شرف إمساك السكين لأختي أو لأمي حتى لا يتهمني أحد بأنني ذو أطماع إقليمية.

خدعوك فقالوا أن (الأطلال) مجرد أغنية لأم كلثوم.

عندما تقرر شراء بطيخة فاعلم أن أكثرها إحمراراً هى التى لن تشتريها طبعاً.

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، ماذا كان سيحدث لو أن (عباس الضو) قال نعم؟

نحن مجتمعات تكره النفاق كراهيتها للموت، لكننا نبدع في إستخدام التملق.

لماذا أصر أن أبدو بكل هذا الهدوء؟ الأمر فقط يتطلب لكمة واحدة لأحطم بها أنفه.

حبيبتي .. أعذريني فأنا لست على هذا القدر من الرقة التي تجعلني أذرف دماً و دموعاً على شاه روخان لأنه مات فى فيلم!

من عبارات الحب الجوفاء: أنت لست وحدك فى هذا العالم.

اختلاس النظرات ليس عملاً محبباً، خاصة لو أن حظك العاثر وضعك أمام من يلاحظون ذلك.

حبيبتى .. لا تطلبي يوماً أن أقفز لك من فوق الشلال لأننى لست أحمد السقا! كما أنكِ لستِ منى زكى طبعاً.

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، إنت جيت؟

كان يصر ذلك الناشط الحقوقي أن جميع معارضي النظام إما قتلى أو في السجون! وهو ما يثير في نفسك التساؤل .. هل هو معارض فعلا؟ لأنه حي وخارج السجن أيضا!

يبقى جزءً مهماً من مقتنا للماضى هو ذلك الخوف المستتر من أن نصبح جزءً منه .

لماذا تخشى الظلام؟ أنت دائما لا تدرك ما يدور من خلفك! بِخ.

هل تعرف ذلك الشعور المحبط عندما تعجز عن استعادة أفكارك؟

ليس كل مالا تستطيع أن تفهمه هو شئ عبقري، ربما كان تافهاً جداً لدرجة تجعلك غير قادر على استيعابه.

أنا مرتبط .. كلمة تعني أنه على وشك الدخول فى حالة الإكتئاب التي يتمناها.

هكذا يكون المشهد دائماً: يقفون مقفري الوجوه، يصافحون الناس فى أسى وملامحهم ترتسم الصرامة وتتصنع الحزن، يجلسون فى هدوء أقرب إلى الخشوع، ثم يميل أحدهم على كتف زميله وهو يحاول إخفاء ابتسامته: مش ناويين تكسبونا بقى؟

أهمية الشئ لا تظهر إلا حينما تفقده. لاحظ أن جواربك كلها تتسخ قبل أى لقاء مهم، الماء ينقطع حينما تكون في أشد الحاجة للاستحمام أو لأشياء أخرى لا تقل خطورة! حتى فى السينما .. السيارة لا تتعطل إلا فى الصحراء أو عندما يركض خلفك قاتل مجنون.

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، لماذا يقولون دائما أنها القشة التى قسمت ظهر البعير؟ لماذا لا يضعون إحتمال أن البعير نفسه قد أصابه إنزلاق غضروفي؟

هو ليس متصابياً، هو فقط لا يعترف أنه يشيخ.

لم ينل من المال مثل بقية الرفاق، فأصبح ينعتهم باللصوص.

إن فى بعض القسوة عدل، وفى بعض التجاهل علاج.

لقد اكتئب ليس لأنها تبتعد، بل للمسافة التي اتسعت لدرجة لن تسمح لهم بالعودة.

ظل متخيلاً أنه قائد، إلى أن اكتشف أنه مجرد شئ كارثي.

كن قوياً بما يكفى حتى تصبح ضعيفاً محترماً على الأقل.

إنه سحر الطاقة الإيجابية! سحر أن تعرف كيف تستغل مهاراتك – المحدودة ربما – حتى حدودها القصوى! لكنه سحر في النهاية .. دجل .. يعود بالنفع المطلق على مدربي التنمية البشرية نظير إستنزافهم أموالك كأي مغفل ما زال يعتقد أن النظر إلى نفسه في المرآة ليبتسم لها قادر على تغيير مسارَ حياته للأفضل.

لا تتزوج من فتاة لا تستطيع الطهو حتى وإن كنت تعشقها، فالحب وإن كان يصنع المعجزات فهو لايستطيع إعداد البشاميل أو الطواجن ولا يتقن لف ورق العنب.

هناك نوعان من الأسرار. سر تافه جداً لا نستطيع كتمانه على سبيل التسلية، وسر خطير جداً لا نستطيع كتمانه أيضاً على سبيل التحذير.

إن الشباب لا يبدأ بعد الأربعين كما يزعمون .. إنه ينتهي قبل ذلك بكثير.

إن المثقفين نوعان : نوع يترجم لك أفكارك ونوع يصر أنه كذلك.

أتمنى أن أجد يوماً تلك (البلية) التى كلما لعبت مع أحدهم تحول لرأسمالي محترم.

كلما استمعت للذين يشوهون حياتنا بإسم الدين شعرت برغبة ملحة للوقوف دقيقة حداد على أرواح كفار قريش.

نحن نعشق التفكير والاقتناع بنظرية المؤامرة لأنها ببساطة تجعلنا نبدو أكثر ذكاءاً مما نحن عليه فعلاً.

مشكلة من لا يعرفون أنهم لا يتوقفون عن الثرثرة .. أبداً.

دائماً ما كان المستقبل هو ماضٍ، لكنه لم يأت بعد.

الحقيقة دائماً كمكعب روبيك .. كل المعطيات بين يديك حرفياً، لكن عليك أن ترتبها لترى الأشياء في وضعها الصحيح. وللمفارقة أن الأمر يبقى مجرد تسلية في النهاية.

ترتبط دائماً قصص الحب الفاشلة بفصل الشتاء وهو من أنواع الهراء العاطفى الذى لم يستطع العاشقون تفسيره حتى الآن.

الأطفال أحباب الله. لكن المهم أن نبقيهم بعيداً عن شؤوننا الخاصة.

للعرب مواهب .. وأهمها أنهم لا يملكون أى موهبة على الإطلاق.

كانت أسوأ كوابيسه أن تتركه من يحبها، هو الآن يدنو من السبعين و أسوأ كوابيسه أن يموت فجأة بانسداد الشرايين .. من بعض ألعاب الزمن!

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، هل هو (برطمان) أم (بطرمان)؟

حاجباك ياحبيبتي! مستقيمان كخط جرينتش، كثيفان كحشائش السافانا.

في يومٍ ما سنصبح رائعين بما يكفى حتى يتغاضى الجميع عن ابتسامتنا البلاستيكية فى وجوههم، بل ويتقبلونها بترحاب.

أحيانا يجدر بنا التوقف عن مطاردة إجابة ما يشغلنا من تساؤلات، ربما نجدها فعلا!

ومن قال أننا نحتاج للنسيان؟ فقط يكفينا أن نفقد الإهتمام، عندها لن نتذكر ما كنا نريد نسيانه.

كانت تقول دائماً أننى شخص أناني، لكني كنت أحب نفسى بالقدر الذى استحقه!

حبيبتى .. دعينا نتظاهر أننا بخير حال حتى يكتشف كل منا أسوأ ما فى الآخر، حينها تصبح الحياة جديرة بأن نتحداها فعلاً!

من المفارقات الطريفة أنك لا تبذل أي جهد فى اكتساب أعداءك!

سؤال يطرح نفسه .. يساوى صفر.

كانت جادةً أكثر من اللازم، واصطناعها للصرامة أفقدها الكثير من بريق أن تكون على طبيعتها. كان يجب أن تدرك أن بعض الطيش ضروري لأن تكون مثالية.

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، لماذا تتباهى "القرعة" بشعر بنت أختها؟ لماذا لا تتباهى بشعر أختها مباشرة؟

عيناكِ يا حبيبتي! عميقتان كمحيط، مستديرتان كخبز التورتيلا.

لا يوجد ما يسمى بالحب من أول نظرة .. قم بتجربة بسيطه وأقرأ بعض الروايات الرومانسية وبعدها انزل إلى الشارع لترى كمية الفتيات اللاتى تمنيت لو ظفرت بحبهن!

يقولون أنه مُنصت جيد، لكنه فقط يملك من المهارة ما يكفي لإقناعك أنه يستمع إليك باهتمام!

حبيبتى .. لا جدوى من كل هذا الهمس! ربما أصابني إلتهاب في الأذن الوسطى.

فيرونيكا قررت أن تموت. لكن لو قررت إنقاذها لاتهموني باختراق خصوصيات البشر ولو تركتها تفعل سيتهمونى بأننى "ندل" ولو تجاهلت الأمر لن أتجاهل وخزات ضميري! حتى إذا قمت بتشجيعها على قرارها باعتبار أن حياتها ملك لها سيظهر من يتهمني بالقتل العمد! .. هكذا تركت الرواية على الرف المخصص لها ولم أمسسها مجدداً.

تتعدد أنواع الحروب، وتتنوع قدرات البشر في اختراع ما يفنون به آخرين. لكن أقذرها تأتى إليك مغلفة بعناية لتدغدغ حاجتك إليها. ولأن المستهلك غالبا لا يقرأ التعليمات خلف المعلبات تفوته دائماً عبارة "مكون يحولك إلى مسخ".

أنا فاشل .. لكني أقل فشلاً منك، لذا حاول احترام هذا الفارق ولا تتعد حدودك!

حبيبتى .. أعرف أني كئيب وكائن جدير بالحياة في كهف متواضع على كورنيش الفراغ الكوني. أنا فقط لا أجيد التعايش مع البشر! ألا يفسر ذلك كوني مرحاً إلى هذا الحد؟

من الأشياء التي تقهرنى هي ابتسامة مضيفة الخطوط الجوية وهى تشرح لك استخدام السترة الواقية في حالات الكوارث .. لكن ما يزيد القهر قهراً أنها سترة نجاة تتيح لك الطفو فوق المياه رغم أنك تحلق فوق صحراء قاحلة! لا تنس أنها تؤكد دائماً على وجود السترة تحت

مقعدك مباشرة فتختلس نظرة سريعة بدافع الفضول لن تجد شيئاً سوى كتيب إرشادات لاستخدام نفس السترة التي ليس لها وجود.

هل تعرف كيف تفكر خارج الصندوق؟ إليك مثال: فى امتحانات البلاغة في اللغة العربية يقول لك واضع الامتحان "إنه يركض كالفهد" ثم يسألك بخبث هل هذه الجملة إستعارة مكنية أم إستعارة تصريحية؟ لتكن إجابتك أنها إستعارة خيالية لأنه لن يتمكن من الركض بسرعة الفهد على الإطلاق.

أنت تعيس لأنك ربما تستحق. هل فكرت في هذا الإحتمال؟

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، ماذا سنفعل بكل هذه الأكياس المخبأة تحت المراتب؟

بشكل ما قد يذكرك القطار بالحياة. مهما طالت مسافتك ستظل في النهاية مجرد رحلة بين محطتين تفقد معها من ألفت وجودهم وتحاول التأقلم مع الوافدين الجدد. ومع إقتراب نهاية رحلتك بالكاد تتذكر وجوه من صادفت أو من عرفتهم حقاً.

يداكِ يا حبيبتي! باردتان كجليد، رخوتان كالجيلي كولا.

كن لها هيو جاكمان .. وكن لحماتك ستيفن سيجال.

يافعة أنتِ كأشجار الأكومي في غابات الكاميرون، صلبة كأشجار التيك في غابات الجابون، سمراء كأشجار الماهوجني الكونغولية، جميلة كقلب خشب الورد الآسيوي ذو الحمرة الأخاذة، ونضرة كسيقان أشجار البامبو .. لكنك بدينة كأشجار الآش! لزجة مثل البلوط الصمغي، ومليئة بالعقد كمربوعات الشوح النمساوي.

عنيكي دول مرايات .. كُتب عليهم الأجسام تبدو أقرب من الواقع.

وتسيرُ كمخملٍ يغالبُ ماءَ النهرِ نعومةً .. فلمَّا أقبَلَت هَمَستُ لها متوودداً: والنبي طِعِم.

هناك في داخلك ذلك الشيطان الذي يوسوس لك في كل مناسبة إجتماعية أن تمسك بقالب الحلوى وتقذفه في وجه صاحب الحفل. لكنك للأسف مازلت تحتفظ بقناع الوقار الزائف.

إن الإنسان يأكل ليعيش لا يعيش حتى يأكل! قالها وكانت لا تزال عضلات فكه تتراقص في نهم واستمتاع بالطحن. حاول أن يرتدي ثوب الفيلسوف بعدما أيقن أن ثيابه لن تناسبه بعد الآن بسبب التخمة.

يقول بسمارك: إن كثرة العدد ليست دليل على الصواب وإلا كان تسعة حمير يفهمون أكثر مني ومنك! لكن ما يثير الدهشة أن كل من يسوق لك هذه العبارة وهو يشير صراحة لفكرة أغلبية العوام والأقليات المستنيرة أنه دائماً ما يصنف نفسه ضمن الأقلية المستنيرة لا كأحد الحمير التسعة!

هناك بعض الأسئلة التي لا تجد لها إجابات مقنعة، لماذا لم أقم بترقيم الفقرات؟

الفصل الثالث

باندورا

إشارة ضوئية

بجانبي في إحدى الإشارات الضوئية، وقفت تلك السيارة اللينكولن نافيجيتور بلونها الفضي الأخاذ وحجمها المهيب الذي يبرهن لك أن السفن أحياناً يمكنها السير على الأسفلت. وبغض النظر عما يحمله أكتوبر من غبار الخريف المعتاد لم أملك إلا فتح النافذة وأخذت أقلب نظري نحوها بهاجس غريب! ماذا لو كنت أمتلك سيارة مثلها؟ ليس كنوع من الرفاهية طبعاً، لأنني تخيلت أن أقوم بتشغيلها كـ "ميكروباص"! الزبون المستهدف يستمتع برحابة المقاعد ونسمات التكييف العليلة التي تطفئ حرارة الصيف والستريو الخاص بي يفوح بموسيقى العظماء .. الدانوب الأزرق ينسجم مع الحوريات الست لتتلألأ بينهما معزوفة فاطمة في ليلة القبض عليها، فيعوض هذا المزج الجميع عن التشويه المتعمد الذي تخلفه الأغان الشعبية وما ترتكبه

من خدش حياء للأذن الوسطى. طبعاً ستكون الأجرة مضاعفة! .. كل هذه الكماليات لها ثمنها طبعا، فأنا لست على هذا القدر من الكرم لأقدم كل ما في جعبتي بشكل مجاني.

لكن أكثر ما لفت نظري وأنا أستغرب مدى قدرة الصينيين وإبداعهم في صنع الكماليات هي تلك الحلية التي لم أرَ لها مثيل من قبل والمثبتة على إطارات السيارة بطريقة يجعلها كلما دارت صنعت موجة براقة من الضوء كأنها ترس يدور في الفراغ.. رحت أتخيل هذا الترس الوهمي وكأنه الحياة التي تدور بنا وتجبرنا معها على الركض بنفس السرعة بلا أن تبدي أي اهتمام يذكر لهؤلاء المرهقين أو المتساقطين من فرط الإعياء.

تبدأ الحياة صغيراً ممتلئاً بالنشاط والأمل، أقسى ما يعكر صفو حياتك أنك خسرت مباراة لكرة القدم مع فريق الشارع المجاور. ولا يمكنك أن تُظهر ملامح الأوجاع والهزيمة على تعابيرك خشية أن تراك. فهي تقف

وسط بقية الفتيات اللاتي يتقافزن وسط خطوط الطباشير بمرح ودلال. لا تعرف ما سر هذا الإنجذاب لكنك تدرك من أعماقك أنه شيء مميز للغاية، شيء يربط بينك وبينها فقط.

تنتظر تلك اللحظة كل صباح حين تنادي أمها عليك قائلة لك ياحماده رغم أنك لست حماده على الإطلاق وتطلب منك أن "تخلي بالك منها في الشارع" وتحملك مسئولية أن تبقيها في أمانٍ لتشعر أن في داخلك بطولة يحسدك عليها هانيبال شخصيا وهو في طريقه لدك حصون الرومان لو أنك تعي في ذلك السن من هو هانيبال أصلا.

تكبر قليلاً .. اهتماماتك تتغير، معطيات الحياة من حولك تتغير، هي تتغير، الأمهات بالطبع لابد أن تتغير ليمنعوكم من الجلوس سوياً كما اعتدتم صغاراً، لا برامج كارتون معاً، لا مدرسة معاً، لا شئ معاً على الإطلاق.

إننا نكبر – وننمو – وهو ما يفسر كل هذا الابتعاد. تصبح أي محاولة لاختراق هذا الحاجز تكلفك سيل من السباب المتواري خلف ستار النصح. رغم أن داخلك لم يكبر بعد! وظل تختخ يكن الإعجاب لـ لوزة ويخفيه في أعماقه خشية أن يفتضح أمره بين بقية المغامرين. ظل في داخلك الرجل الوطواط الذي يطير من فوق الدواليب والأسِرة لإنقاذ حبيبته قبل أن تكتشف أمه الكارثة لتوسعه ضرباً، ثم تحتضنه وتقبله بحنان يفوق قسوة ما شعرت به من هلعٍ لحظة الغضب. إننا نكبر – ونتغير – وهو ما يفسر كل هذا الابتعاد.

تعود لتمسك بكتاب الأحياء لتلعن هرموني الإستروجين والتستوستيرون! هاذان الأحمقان اللذان لا يدخران فرصة إلا وفرقا بينكما. أنت لم تحب اللغة العربية يوماً ودائماً ما كنت تكره ذلك العلم بالغ التعقيد! لكن هذا لم يمنعك أن تمسك بكتاب النصوص لتقرأ قصيدة المساء لخليل مطران ليس لشئ إلا لأنها كئيبة بما فيه الكفاية خاصة وهو يقول: "والعقل كالمصباحِ يغشى نورَهُ كَدَرِي

ويُضْعِفُهُ نَضُوبُ دمائي" وبغض النظر أن أنك لم تكن يوماً ضليعاً في فنون البلاغة لكن الكلمات دائماً ما كانت تشعرك بالحزن، وهو ما كان يتطلبه الأمر.

تكبر قليلاً .. لنكتشف أننا تخلصنا من تعقيدات النمو والتغيير وأصبحنا يافعين بما فيه الكفاية لنقرر ما نفعل. أنت تراها الآن كل يوم، يحتفظ كلانا برقم الآخر بأسماء وهمية خشية أن يكشف أحدهم الأمر خاصة وأن الأهل في هذه المرحلة يتقمصون دور عملاء الموساد! لكن هذا لا يهم طالما مازال الأمل يلوح في الأفق مفعماً بالحياة.

لكن ما لا ندركه أننا دائماً نكبر – وننضج – وهو ما سيفسر دائماً لماذا كان الابتعاد.

دائماً ما يأتي ذلك اليوم حين تسمع صوت الزغاريد من البقعة التي تخشاها! .. دائماً ما تطرق إحداهن بابك حاملة صينية مملوءة بكل ما لم ترغب بمشاهدته أبداً ، وفي ثوانٍ تكسر معك حاجز الاختلاط

بالغرباء التي أفنت نصف حياتها تقريباً في تعميقه لتعانقك بحنان لم تعتده منها وهي تقول لك : "عقبال ما نعمل ليك ولولادك ياحماده" رغم أنك لم تكن ومازلت لست حماده على الإطلاق! هذه حقيقة كان ينبغي تدركها بعد كل هذه السنوات.

تبقى الحقيقة جلية أنها الآن زوجة لآخر ربما بدوره كان يحب أخرى في شبابه، كان بطلا وهو يحميها في طريقها للمدرسة بشجاعة حسده هانبيال عليها، قرأ من أجلها قصيدة المساء لخليل مطران، قالت له أمها يا حماده وهو ليس حماده أيضاً، وربما كان أكثر نضجاً مما كنا عليه فهو في الغالب من جيل أوقات عصيبة لديكنز، ليس ممن تجرعوا تفاهة مغامرات البحث عن مخبأ العناكب. ربما كان يكتب لها أشعار نزار المستهلكة خلف دفتر محاضراتها بخط مائع ومتردد. ربما وجد فيها أنوثة مديحة كامل في الوقت الذي سعينا فيه للبحث عن جنون ياسمين عبدالعزيز في إعلان ماندولين! لا يمكنك الجزم بشئ إلا ما تجسد بوضوح أمام عينيك، لكن هذا لا يغير في الحقيقة شئ الآن.

وأنا بدوري سأتزوج أخرى، ربما بعد أن أسافر للعمل في دولة عربية لأعود كـ " حماده طال عمره" لكن حماده المزعوم سيعود مختلفاً لأنه الآن رأى الكثير، عرف الكثير، فقد الكثير. وصل إلى محطة منتصف حياته محملا بالخبرات والتجارب ليستكمل ما تبقى له بشئ من الحكمة.

فهو – وفقاً لمقاييسه – لم يعد مجرد تختخ الذي كان! لقد عرف لماذا لا يمكن أن يتحمل خفة كائن ميلان كونديرا رغم احتفاظه بلمسة طيشه بحب "لوسي دارني" وود لو كان بإمكانه إصطحابها على العشاء بعد إقناعها بترك قصة المدينتين من أجل بعض الملوخية وفتة الكوارع في القاهرة الفاطمية! .. لم يعجب بالعزلة مع ماركيز لأسبابه الخاصة وفقد ولعه بـ ١٩٨٤ بعدما أيقن أن مهما كان حجم الخيال فلن يرقَ لما يمكن أن يفاجئه به الواقع. هو شخص يختلف كثيراً الآن. كل ما لم يتغير أنه ليس حماده حتى اللحظة.

يصل إلى قناعة مفادها أن الحياة أعمق كثيراً مما تبدو، وأن اختياراته تخضع للكثير من الإعتبارات عليه أن يدركها وهو في وضع الحركة لأنها لن تنتظره حتى يستوعب ما يدور من حوله. إننا نكبر، تصقلنا التجارب، وهو ما يفسر لنا كيف تدور تروس الحياة. كيف تعبر من مرحلة لأخرى. كيف تحب ما خضته لتعيش مع ذكرياته بسلامٍ دون أن تتعطل معها أحلامك عن الغد. حينها تتعلم كيف تزور تختخ وقد أحضرت له بدلة الوطواط بنفسك وتسمح له بالقفز من فوق الدواليب من جديد وتقرأ معه قصيدة المساء لخليل مطران ليلة امتحان الثانوية العامة. تنقل له خبرتك فيما يتعلق بكونك حماده لا يشق له غبار أن حاجز الغرباء لم يكن حاجزاً، وأن تمنياتها وعناقها لك كان حقيقياً وصادقاً؛ لأنك ستصل لذلك اليوم الذي تشيد فيه جداراً عازلاً تحيطه بسياجٍ كهربائيٍ يصعق كل حماده متطفل آخر لا يرى في الحياة إلا ما يسعى لامتلاكه بغض النظر عن أي شئ. إننا نكبر، نتعلم كيف نعيش ونتكيف مع قدرة الحياة على تسريع وتيرة التغيير، نتأقلم

مع كل ما نكتشفه في رحلة البحث عن النضوج والتوازن. وربما ننجح في ذلك، أو ربما لا! وهو احتمال وارد. فبرغم كل ما يمكن أن نكتسبه من خبرة تبقى في النهاية مجرد معرفة نمطية لم نختبر انسجامنا معها حتى الآن!

لكن ما لا نقدر على تحمله دائما هي قدرة المزعجين على تشتيت انتباهك حين يستعملون أبواق سياراتهم بشكل جماعي لتذكيرك أن الإشارة تحولت للون الاخضر! لحظة! أين اختفت اللينكولن؟ كان من الطبيعي أن تختفي وأنا غارق في التفكير دون أشعر، يكفي أنها تحمل محركاً يعمل بقوة ٦ سلندر، ربما ٨ سلندر؟ سأنطلق خلفها بكامل سرعتي محاولا اللحاق بها لأتأكد من عدد السلندر للمحرك لأنه سيشكل فارقاً كبيراً في استهلاك البنزين كما تعلمون خاصة مع باخرة أرضية بهذا الحجم. لكننا سنعوض الفارق كالعادة بالشخص سيء الحظ الذي سيجلس "رابع ورا" بالطبع. ميكروباص لينكولن .. يا للروعة! هو يوم غريب بلا شك، خاصة وأن كل هذه المفاجآت غير المنتظرة تحدث في يوم واحد!

بـدايـــة

صباح حار كعادة أجواء أغسطس.

وهو ما أجبره على الإسراع في مغادرة فراشه هروباً من سخونته التي بالكاد يتحملها حين يفيق. أعطال أجهزة التكييف في أوج حرارة الصيف أمر شائع، لكن سوء الحظ يسوق لك هذه الأعطال غير المتوقعة في يوم إجازة! لا يهم، بدأ اليوم مبكراً عما كان مخطط له ولن تلتفت دوائر التكييف الكهربائية وهي تقرر أن تتلف إلى معدلات سُباته المعيارية أو إن كانت كافية أم لا. والآن .. حان وقت مغادرة هذا الجحيم.

بدل ثيابه وكأنه – للأسف – يوم عمل عادي وقرر أن يخرج من المنزل بحثا عن بعض الكافيين. هو لا يجيد صناعة القهوة، هو يكره القهوة

لو شئت الدقة .. لكنها طالما ما كانت مبررا للمغادرة في مثل هذه أوقات. هي ميزة أخرى لشخص غير متزوج ألا يرتبط بالبقاء بين الجدران في حرارةٍ كهذه طالما لن يكلفه الأمر كثيرا بالجلوس في مكان يدرك أهمية وجود التكييف! هذا بغض النظر عن موعده الذي لا يحتمل التأجيل.

لقد اعتاد الأمر مع تكراره، وأصبح زبوناً مميزاً لذلك الركن المطل على نافذة زجاجية في هذا المقهى الصغير الذي يقع على جانب الطريق الخاو تماماً من أي مظاهرٍ للحياة سوى بعض الأشجار العملاقة التي أغفلها منشار العشوائية لسبب ما حتى الآن! طلبه المعتاد أصبح أمامه الآن، مد يده وأبعد منفضة التبغ ليطرد شبح الإغراء الدائم وخلق الحاجة للإشعال بعدما أقلع أخيراً عن التدخين.

لم يمر من الوقت كثيرا حتى أفاق من عزلته بدقات على طاولته كمن يستأذن بالجلوس. رفع نظره فوجدها أمامه بكامل رونقها كعادتها! دعاها للجلوس وإن كانت لم تنتظر دعوته حتى.

حاولت أن تكسر صمت الحوار الذي لم يبدأ، وداعبته قائلةً :

مازلت تطيل لحيتك!

فأجابها باقتضاب:

بداعي الكسل لا أكثر.

- متى أصبحت كسولاً إلى هذا الحد؟

- وكأننا مازلنا نكتشف عيوب أحدنا الآخر! حلاقة الصيف تسبب الحساسية، وحلاقة الشتاء تضاعف الإحساس بالبرد. هذا كل ما في الأمر.

- وماذا يسبب الإجابات المختصرة؟

-عظيم! لأن هناك ما يجب أن يصبح أكثر وضوحا الآن. ماذا بعد؟

- ماذا تقصد؟

- ماذا بعد! ماذا بعد الصدفة الأولى والتي قررنا ألا تكون مجرد صدفة عابرة أخرى؟ ماذا كان يشغلنا ونحن نحاول إستعادة الماضي؟ وماذا بعد أن قررنا إذابة الجليد؟ ربما تمادينا كثيرا دون أن نضع لأنفسنا حداً، ودون أن نعرف يقينا إلى أين تقودنا مراهقة تحاول أن تجد لنفسها مكانا بعدما انتهى وقتها.

علينا أن ندرك الآن أن لا فائدة من محاولة تجميل صورة الغد ونحن مازلنا غير قادرين على أن نجتاز حواجز الواقع! علينا أن نتحاشَ الإصابة بآفة الإيمان بالاختلاف التي اجتمع حولها كل الشجعان – لو أردنا أن نستمر في مدح الحماقة – قبل أن نتفاجأ بما يكمن أن نصبح عليه.

لقد فعلناها مرة، وربما نكون مدفوعين الآن بقوة نتمادى في محاولة إخفاء حقيقة ما نعرفه عنها وهي تحاول أن تصحح لنا مساراً أخفقنا فيه من قبل. لكن ماذا سيفيد تكرار الإخفاق؟ على الرماد أحيانا أن يبقى رماداً، ربما يشتعل بما لا نقدر على السيطرة عليه.

- ولماذا ترى كل ما لا يمكن أن يحدث؟

- لأن باختصار لا شئ لا يمكن أن يحدث! كلانا يعرف أن هناك رتقاً قابل للاتساع إلى حد إبتلاعنا ذاتنا، فلا يجوز أن نتظاهر بأن كل شئ على ما يرام وأننا قادرون على اجتياز عقبات المستقبل بإنكارها الآن!

- لم أعهدك هشاً!

- لو كنت هشاً لما كان لحديث كهذا أن يكون! ما أروع حماقة المغامرين حين يصروا على القفز وهم يعرفون يقيناً أن وسائل أمانهم غير مضمونة! وما أروع الشعراء حين يروا في كل ما هو مستحيل شيء جدير بالمعايشة والتجربة، لكن بشكل أو بآخر يبقى جزءً مهماً من

بقاءنا على قيد الحياة هو شعورنا بالخوف من المجهول وإدراك متى تنتهي حدود أفكارنا التواقة! ولا عيب أن نعترف بالجبن عن فعل أشياء قد تكلفنا أكثر مما يمكننا أن نتحمل.

أنظري للخارج! هناك أشجار عملاقة تحجب ضوء الشمس في وضح نهار أغسطس، كيانات ضخمة ربما تضاهي ما يحيط بها من كتل إسمنتية. لوهلة يمكن للمظهر المهيب أن يخدع أبصارنا، أي خرسانة تلك التي يمكن تزاحم جذوراً عرفت كيف تبني لنفسها وطن في عمق الأرض؟ لكن الحقيقة أنها مجرد هيكل – هش – لا يستطيع الصمود في وجه أقرب عاصفة. لأن كل كتلة خرسانية حجزت موقعها على حساب بقعة من وطن الجذور حتى باتت معرضة للسقوط في أي لحظة، أو ربما فقط تنتظر ذلك المنشار الذي سيأتي ليقطع آخر صلة لها بالأرض بشكل يحفظ لها شئ من الكبرياء.

وها نحن أولاء .. نصر أن نبدو كشجرتين عملاقتين تضرب جذورهما في أعماق الأرض، والحقيقة أننا نتشابه فقط في مدى ما أصاب لحاءنا من تجاعيد! ولا يكفينا ما تبقى لنا من جذور لنواجه ما قد يحمله الغد من رياح، أو حتى أي منشار عابث عابر آخر. وقبل أن تسألي لماذا .. وقبل أن تجبرنا تروس الحياة على حبس الإجابة حتى تنفجر في وجوهنا معلنةً عن نفسها بضراوة يصعب معها استيعاب ما حدث. علينا أن ندرك من الآن أن هناك أشياء لن تقبل الترويض مهما حاولنا، وأن هناك بعض الحواجز الغير قابلة للعبور حتى الآن مهما بذلنا من جهد. علينا أن نعترف ونحن في مفترق طريق كهذا مدى صعوبة ما نقرره، ومدى إدراكنا لعواقبه فيما بعد. ربما يجدر بكِ أن تعودي لطفلتك الآن، ونترك لأنفسنا مساحة أخرى لنفكر في خطوتنا المقبلة.

قالت وهي تهم بجمع أغراضها والمغادرة :

بعد كل ما قلت؟ وكأنك تهتم!

كان فعلاً يهتم! لكنها ربما ستدرك يوما ما أن على الأطفال بداخلهم أن تذعن لنداء النضج، وأن ما شعرت به قسوة الآن يمكن تفسيره بشكل قد يختلف فيما بعد فقط عندما يحين الوقت. ربما .. كان فعلا يهتم! فلم يرد. اكتفى فقط بالنظر إليها رغم أنه لم يشح ببصره عنها طوال حديثه، ربما أدرك في أعماقه أنها المرة الأخيرة التي ستجمعهم معا. قدرية الصدفة قد حدثت سلفا بالفعل دون أن يتمكن من اغتنامها كما تمنى، ولا يمكن للقدر مهما بلغ من مرونة أن يسمح بالفرص البديلة، أو أن يجمع هذا القدر من التضاد في طريق واحد بعد الآن.

أغسطس الأخير

صباح حار كعادة أجواء أغسطس.

وهو ما أجبره على الإسراع في مغادرة فراشه هروبا من سخونته التي بالكاد يتحملها حين يفيق. يبدو أن زوجته أغلقت جهاز التكييف لترشيد استهلاك الطاقة وبلا أن تدرك فقد قامت بترشيد الراحة أيضاً ! لا يهم، العمل لن ينتظر كثيراً، ولن تنظر إدارة الموارد البشرية إلى معدلات سُباته المعيارية أو إن كانت كافية أم لا. لكن المُربك حين تستيقظ على عجلة لتكتشف أن اليوم إجازة رسمية! تتمنى حينها لو أن بإمكانك إعادة ضبط إعدادات ساعتك البيولوجية.

بدل ثيابه وكأنه يوم عمل عادي وقرر أن يخرج من المنزل بحثا عن بعض الكافيين.

هو لا يجيد صناعة القهوة، هو يكره القهوة لو شئت الدقة .. لكنها مبرر جيد للمغادرة خاصة أنه لا يجيد صناعة أي شئ بمفرده وما إن يقرر ذلك لا يخلو الأمر بعدها من بعض الكوارث المعتادة. كما أنه احتفظ لنفسه بقدر من اللياقة يمنعه من إيقاظ زوجته التي تبيت في غرفة الأطفال منذ مدة أصبح من الصعب تذكر بدايتها تجنباً للشجار الليلي المعتاد. وبما أن اليوم هو عطلة أو هكذا اكتشف مؤخراً، فربما خرجت كعادتها مع طفلتها في الصباح قاصدين بعض المرح.

العطلات فرصة مثالية لتخفيف الضغوط. خاصة حين تقضى طفلة في مثل هذا السن أغلب أوقاتها تستمع إلى شجار لا ينتهي وتكتفي بأن ترمقه بتلك النظرة التي تحمله كل خطايا العالم!

ربما ستكبر ذات يوم لتفهم أن مثل هذه أمور تحدث باستمرار، ربما تدرك أن الحياة ليست فيلم كارتوني بنهاية سعيدة، أو حتى أن كل الأحلام ليست قابلة للتحقيق بما فيها أحلامها عن نفسها .. ربما.

لقد اعتاد الأمر مع تكراره، وأصبح زبوناً مميزا لذلك الركن المطل على نافذة زجاجية من هذا المقهى الصغير الذي يقع على جانب الطريق الخاوِ من أية مظاهر للحياة سوى ما أصبح يهوى التمعن في أحداثه حين تتصارع القطط.

طلبه المعتاد أصبح أمامه الآن، أشعل سيجارته وبرغم أنه من ذلك النوع الذي يحتفظ بالدخان في رئتيه خشية أن يهرب كان يبقيها مشتعلة حتى تنطفئ، ليشعل أخرى! يدير الفنجان حول نفسه حتى يكاد يسكب محتوياته ثم يعدل موضعه في تراخٍ دون أن يظهر أي اهتمام برفعه حتى يتذوق ما في داخله على الأقل كأي بشري طبيعي آخر! ومن فترة لأخرى يطل بنظره عبر الزجاج ليتابع حدثه المفضل.

ظل على حالته حتى أفاق من عزلته على صوت دقات على الطاولة كمن يستأذن في الجلوس، ودون أن يرفع نظره نحو من يتكلم عرف من صوت الشخص الذي لم يسمع ما نطق به باهتمام أنها زوجته! أطلق

زفيراً خشناً وهو مازال ينظر للفراغ، ثم قاطع نيتها في الحديث وقال لها: إختصاراً لما يمكن أن تقوليه، أعرف أني من أوجد هذا العبء ليحمله، أعرف يقينا أن لا ذنب لأحد فيما أفعل، ولا يوجد ما يبرر أن يتحمل أحدهم معي.

مدت يدها نحو الفنجان الذي لم يزل يحركه حول نفسه وأبعدته فلم يلحظ ذلك، ثم قالت له بنبرة وقد إعتلاها شئ من اللوم: وماذا بعد أن تحملت مالم تكن مضطراً له؟

- لا أعرف، ربما لا شئ ..

- لم تكن مجبراً!

- ربما ..

- لماذا؟

- لأننا أفرطنا في رسم صورة الغد دون أن نلتفت لما يمكن أن يسوقه لنا الواقع مثلاً! حسبنا أنفسنا على قدر من التناغم قد يتيح لنا أفضلية الاستمرار، لكن ثمة آفة الإيمان بالاختلاف التي جمعت حولها كل الشجعان – لو أردنا أن نستمر في مدح الحماقة – وكل منهم يحسب أنه قادر على أن يجتاز ما كان مقدرا له أن يفشل فيه. حتى ينتهي به المطاف كأي مخلوق آخر لا يوجد ما يدفعه لإدعاء البطولة. أعرف اني كنت ضعيفاً، هش لدرجة دفعتنا للإغتراب. لكن ما هو الفارق الذي كان من الممكن أن نصنعه؟ لا شئ .. لا شئ قادر على أن يغير حقيقة ما أصبحنا عليه، حتى وإن لم نجرؤ بالاعتراف لأنفسنا خشية أن نتفاجأ به!

الآن تساوى وجودنا والعدم، ولا يثير فقدان قدرتنا على أن نتواصل أي مشاعر للحزن! وكأننا أكسبنا أنفسنا بلادة تحول بيننا وبين أي خطوة نفكر في أن تعود بنا للوراء. فلماذا نجبر أنفسنا على العيش كغريبين طالما كانت فرصة أن نتحرر من هذا القيد مازالت متاحة؟ انظري! لقد

كنا مثل هذه القطط تماماً! صراع محتدم على قطعة من عظم لن تجد من ستظفر بها ما يستحق كل هذا الصراع! لكن غريزتهم ربما تفسر ذلك كسِمةٍ للتضحية في سبيل الانتصار والذي يعوض الزهو به خسائر المعركة أو قلة غنائمها المنتظرة حتى لو كانت الغنيمة قطعة عظم في قمامة مجتمعٍ أدمن أفراده امتصاص النخاع! في النهاية قط واحد يفوز، يحمل الغنيمة بين أسنانه، يلعقها لبعض الوقت لأنها لا تحتمل أكثر من ذلك، ثم يتركها بعد أن يفقد إهتمامه بها. لكنه سيعيد الكرة ويخوض منافسة أخرى لن يحظى منها سوى ببعض الزهو فقط، فيتركها بعد أن أيقن بأنها لن تعوضه ما فقد من طاقة، حتى يستسلم لمسح رأسه بأطرافه لإزالة بقايا جروح المنافسة دون حتى أن يبدي إهتماما كعادته بخوض نزال آخر! لقد عرف أن محاولاته لم تعد مجدية أخيراً. لا شيء قد يعوضه ما فقد.

وها نحن أولاء .. نزفنا الكثير خلال محاولاتنا المستمرة لجلب النصر حتى بات من الصعب أن تسعفنا القدرة على خوض غمار منافسة

أخرى أو حتى أن نشعر بالزهو بما حققناه، في النهاية نحن لم نفز بشيء! لأننا باختصار قررنا – ربما – أن نبذل أقصى ما كان في وسعنا من طاقة في المسار الخاطئ وعلينا أن نعترف أنها اللحظة المناسبة لنتوقف عن بذل المزيد من الجهد والكف عن الدوران في الفراغ.

وهذا جواب الـ "لماذا" الذي حاولنا أن نتفاداه كثيراً حتى وصلنا إلى هنا .. لأن هناك أشياء لا تقبل الترويض مهما بذلنا من جهد. ستظل بعض الحواجز غير قابلة للعبور، ستظل بعض المواقف غير قابلة للنسيان، سنبقى كما نحن! نتظاهر أننا بخير حال حتى وإن لم نكن، نقنع أنفسنا أننا تغيرنا وإن لم يحدث. سنظل نتغاضى عن الكثير ونحن نقنع أنفسنا بالقدرة على الإستمرار حتى ينفجر كل شيء في لحظة يصعب معها استيعاب ما حدث وهو ما حدث فعلاً! ولا يمكننا حينها أن نستمر، ليس لأن الأمور لم تعد كما كانت بل لأنها لم تكن من الأساس .. ربما يجدر بكِ أن تعودي الآن، ليس من الصواب ترك طفلة في مثل هذا السن وحيدة في المنزل.

قالت وهي تهم بجمع أغراضها والمغادرة:

بعد كل ما قلت؟ وكأنك تهتم!

رفع وجهه للمرة الأولى نحوها وكأنه سيعاتب نفسه في نبرتها لكنها لم تكن موجودة حتى! كل ما كان أمامه هي نادلة المقهى تحمل فنجانه الذي برد محتواه دون أن يلمسه وقد اكتفت بتقديم الفاتورة إليه وغادرته مسرعةً بعد تذكيره مجدداً أنه موعد إغلاق الفترة الصباحية.

خيال الظل

مقعدك وثيرٌ جداً أيها الطبيب! ويبعث في الخيال طيف نعاس ربما غاب منذ زمن.

نسيت أن أذكرك إنني زميل لك في تلك المهنة فلا داع لتخبرني أن أسترخ! لقد أتقنا قواعد اللعبة يا صديقي المؤقت. وهون عليك مشقة حسن الضيافة أيضاً، ولو كان مسموحا لي أن أسألك شيئاً فموسيقى "فاجنر" تفي تماماً بالغرض. ولا داع أيضاً لتشغيل التكييف، مازال الربيع يحتفظ بنسماته خاصة أننا مازلنا في مارس! فالهواء يبدو منعشاً، حتى الآن.

شئ أخير .. أنا هنا ليس لأنني بحاجة لمن يستمع، على الإطلاق! مجرد تفريغ للشحنات يا عزيزي لا أكثر. وأظنك قد أدركت عدم رغبتي

بتسجيلات أو تشخيص! أنا أعرف محنتي جيداً وأعرف كيف أتعامل معها. وقبل أن تتساءل لم قد ألجأ إليك وأنا في غنى عن ذلك؟ فالإجابة ببساطة أننا نجد من الوقت ما يتسع لمشاركة الجميع كل شئ مهما بلغ من الخطورة أو التفاهة، لكن عندما يتعلق الأمر بأنفسنا لابد أن نبحث عن بديل! ولو كان لزاماً وضع تعريفٍ لتلك الحالة فيمكن تصنيفها كأكثر أنواع الكوميديا السوداء بؤساً.

لا أريد أن أطيل عليك وأشكر لك وقتك مقدماً خاصة أنه لا يمكن لشخص عاقل أن يستقبل مرضاه في هذا الوقت المتأخر من الليل. همم، لنبدأ؟ حسناً .. ارفع صوت الموسيقى قليلاً لو تفضلت! أحب أن أقدم نفسي بأنني لست طيباً أكثر من اللازم، وليست أقسى خبراتي في الحياة أنني دائم الثقة في الآخرين إلى ذلك الحد الذي يعود عليَ بالأوجاع، وغالبا لا أثق في أحد من الأساس.

وبداخلي هذا الشيطان أيضا الذي بالكاد أكبح رغباته، من ينكر! فهو يعيش تحت جلدي كما يعيش تحت جلودهم جميعاً. يمكننا اختصار حديثنا وتلافي الثرثرة حول ذلك ونصل معاً لنتيجة مُرضِية إنني لست إلا مجرد بشري آخر لا يوجد ما يميزه، ولا يرى في نفسه أنه يعيش في زمن لا يستحقه، فلو كان الأمر كذلك لما تواجدنا جميعاً هنا! نحن متواجدون لسببٍ ما، لكنك تعرف هذه الأساليب بشكل أفضل.

جميعنا يلجأ لتلك الأساليب ليشعر أنه يستحق ما هو أفضل، لكن وبغض النظر أننا جميعاً متشابهون إلا أن هناك ما يدفعني للاقتناع أننا لا نتقاسم ذات العالم! فلا أُلقي باللوم على الجميع كما يفعلون! لم أقف يوماً كسلطان الذي جعلوه مجرما لأصرخ أن العالم كله ضدي مثلا! لا دخل للعالم هنا على الإطلاق. لم يخلقك الله مخيراً لتعتبر نفسك أسيراً لاختيارات الآخرين! نحن من نختار كيف نبدأ، كيف نسير وننتهي.

المهم .. لا أذكر إنني قد حكيت من قبل عن نشأتي لأحدهم ليس لشئ إلا لثقل وقع أن أتذكرها وما خلفته من آثار بداخلي رغما! ترعرعت في منزل أبٍ لم أره إلا في بعض الصور الفوتوجرافية بجانب أمٍ تجاهد لإبقائي بجوارها خوفاً من قسوة رجل لم يستطع حتى أن يلعب دور الأب! كان عليَّ أن أتعايش حتى أحظَ بالحد الأدنى من الحياة. ولفترة طويلة اعتقدت أن التوسل للموت بكسر تلك المعادلة كفيل بإنهاء اللعنة لو صحت التسمية، لكنه رفض محاولتي الطائشة بابتلاع مطهر الأرضيات! كما أنه لم يتعاطف معي حين تعرض ذلك المسخ لحادث وأمهله حتى تعافَ وعاد أكثر بطشاً كما لو أنه قد ضمن الخلود! وحين قرر أن يتدخل لم يجد سوى تلك المسكينة ليخطفها وكأنه يعاقبني على استدعائه. حينها أدركت في وقت مبكر للغاية خطورة أن تتمنى شيئاً لا يمكنك مجاراة نتائجه، لذا كان أول درسٍ قاسٍ قابل للاستيعاب أن تعرف متى تنتهي حدود رغبتك في التمرد.

لكن هذا للأسف لم يحدث، ودائماً ما تعاند نفسك وتحاول إرغامها على السباحة معك ضد التيار. فعندما بدأت أنفض عني آثار الماضي سعيا لخلق مسارٍ مختلف لتجربتي في الحياة لم أسمع عبدالحليم عندما وقعت في الحب للمرة الأولى! وبرغم كونه سبب تافه لادعاء التمرد لكني كنت أفضل الاستماع إلى الموسيقى تاركاً مساحة من الحرية للخيال أن يقول ما يشاء. لم أفضل أبداً أن أكون مجبراً على الاستمتاع بشئ أهلكه الآخرون اقتباساً ومعايشة من قبلي. ولم أكتئب أيضًا حين اكتشفت إنني مجرد ساذج آخر أقنعته روح المغامرة أن تلك القصص تنتهي بنفس حماسة البدايات! لم أُحمل نفسي نتيجة أي خطأٍ لم أقترفه، كما لم أرغب بإلقاء اللوم عليها أو حملها مجبرة على خوض ما لم تكن لتخوضه. كنت دائما أتسائل، ما الجدوى؟ الحياة دائماً ما تستمر، وبالكاد تتذكر مع مرور الوقت أنك مررت بوقت عصيب. حتى الذاكرة نفسها ومع الوقت والاعتياد لا يمكنها إجبارك

على أن تحتفظ بشئ لم ترغب أنت بالاحتفاظ به من البداية مهما تراكمت تلك الذكريات.

كل ما يتبقى لك من تجارب كتلك هي غصة تأتيك كلما حاولت أن تتخيل مجري حياتك بشكل يغاير ما أنت عليه الآن. ليس بدافع الندم رغم أنه يمثل جزءً لا بأس به من الفضول، بل كتساؤلٍ عن ماهية هذه الحياة! الأمر أشبه بطفل عليه أن يختار لعبته من بين صناديق مغلقة ومهما كان سعيداً بصندوقه الذي وجد فيه تسليته المنشودة سيبقى يراوده شغف اكتشاف الألعاب التي لم يحظَ بها في الصناديق الأخرى. بشكل أو بآخر تكتشف أن الرضا في حد ذاته أمر نِسبي، أو بمعنى آخر قد لا يتعارض رضاك بما أنت عليه بخيالك الراغب. هذه حقيقة أخرى كان ينبغي أن نتعايش معها.

لكن لا أخفيك سراً طالما كان حوارنا صريحاً أن تجارب كتلك قد تضفي عليك شيئاً من اللامبالاة خاصة بعد أن تكتشف أن النسيان

في حد ذاته قد يصبح نوعاً من الرفاهية. حينها فقط نراوغ أنفسنا قدر الإمكان في مقامرة صريحة وممتدة، حيث تكسبك المراوغة الانتصار في نصف المقامرة الأولى مع ذاكرتك بالتأقلم. فالذكريات لم تُنسَ بعد! لكنك تصبح قادراً على أن تتجاهلها.

ومع تكرار الأمر تعداده فعلا في انتظار أن يعلن الزمن انتصارك الأخير في نصف المقامرة الآخر بإتقان التجاهل والإنكار لحدوده القصوى! حتى لو نشأت بينك وبين نفسك تلك القناعة الغير معلنة أنك تعيش كقطعة من الخشب ضلت طريقها وسط محيط، ومهما شهدت من تقلبات وعواصف ستجد في ذاتها القدرة على الطفو لسبب ما.

ولكن حتى تلك القدرة في حد ذاتها تصبح مفارقة من نوع آخر، لقد اخترت أن تسبح مع التيار أخيراً وبغض النظر عن اتجاهه والذي بدوره يقودك إلى ما كنت تحاول الهروب منه تحديداً طوال الرحلة! ربما كان يجب أن أعرف عن الحياة أنها ليست على هذا القدر من المرونة الذي

يسمح لك بمعاندتها، حتى وإن اخترت أن تجاريها في الجنون والشطط فهي لا تعبأ بك، ودائما ما تصدمك بما تحمله لك من مفاجآت.

هل أخبرتك أنها أنجبت من زواجها الأول؟ أنا أيضًا لم أكن أعرف حتى التقيت بها ذات يوم تحتضن كف صغيرة مهما تباينت أعمارهن ستعرف أنها ابنتها بلا شك. وفي لحظة فكرت ألا أبادلها نظرة اليقين التي نعترف فيها لبعضنا البعض بصمتٍ حذر أننا نحن. لكن لماذا لم أستطع؟ لا أعرف.

ربما كانت هذه هي اللحظة المناسبة التي يمكنني فيها التوقف عن المراوغة أخيراً وأعلن في نشوة أنني لم أعد أنكر شيئاً لا وجود له! لكن كأي مقامر آخر أدمن عدم الإكتفاء بما حققه قبل أن يدمن السبب ذاته وبرغم أن الذاكرة ستنال منك بكل أشكال السخرية الممكنة وهي ترحب بك في المربع صفر من جديد، قررت أن أتجاوب تلبية لنداء الإدمان الذاتي!

لك أن تتخيل الآن أننا توقفنا لإلقاء التحية بلا أي كلمة تذكر! وكل محاولة لكسر الصمت تنتهي بابتسامة أخرى لا تزيد الموقف نفسه إلا بلاهة! وبعد الكثير من المحاولات البلهاء تمكنا أخيراً من كسر الصمت دون إذابة الجليد المتراكم بحوار سريع اكتظ بالمجاملات أحياناً.. ثم عرفت أن تجربتها هي الأخرى لم تنجح، وأنا ما زلت كما أنا.

تبادلنا أرقام الهواتف من جديد كتقليد روتيني متبع يعكس رغبة عدم الإكتفاء بما قد تقدمه صدفة عابرة رغم رائحة الأدرينالين التي تحذر من عواقب نتجاهلها برغم طريقتنا الرسمية معاً ورحل كل منا في طريقه.

يمكنك أن تتنبأ الآن بالكثير من الأحداث وتخلع عني مشقة السرد، صحيح؟ لقد قررنا إذابة الجليد! دع نظريات المراوغة كلها جانبا الآن واترك الذاكرة تسخر منك كما شاءت وبغض النظر أنك خسرت حرب اللامبالاة بعد كل ما بذلت من جهد، تبقى رغبتك – كمدمن ربما – في

أن تستعيد ما لم تخسره عن عمد أو تقصير أقوى من كل محاولاتك في الهروب.

رغم كل شئ بقي الطفل الفضولي بداخلك حياً ليكتشف ما خبأته الصناديق الأخرى عن متناوله.

ولفترة ليست بالقصيرة ظن الطفل أنه سيبقى سعيداً بما احتوته صناديق الألعاب، لكن عندما تقرر استعادة الماضي لتغيره لا يمكنك أن تنتقِ أحداثاً دون أخرى! خاصة عندما تتجاهل مرواغاتك القديمة بعناد لطبيعتك حتى تراوغ في تحدٍ آخر! لكن هذه المرة لم يفلح رغم كل محاولاته المستميتة ليبقي جزءً من ماضيه في أظلم بقعة من ذاكرته قدر الإمكان، لكنها لم تكن مجرد صناديق ألعاب منسية! ربما كان إحداها هو صندوق باندورا.

لقد أصبحت أسيراً لفكرة أن تكبر تلك الطفلة رافضة وجودي! أن تكرر ما فعلته أنا برغبتها في أن أختفي من حياتها تماما، فأنا لست الأب التي كانت لتتمنى أن تكبر بجواره مهما تعلقت بها أو تعلقت بي.

كما أنني لم أستطع أن ألعب معها دور الأب أيضًا، فهي رغماً عنها وبلا ذنب تذكرني بكل شئ! ، وهذه المرة لا يمكنني أن أراوغ، سأهرب إلى أين هذه المرة وأنا من أعاد هذا الكابوس للحياة!؟ سنظل رفيقان للأبد.

حسناً .. هذا كل شئ يمكنني أن أبوح لك به في تلك الجلسة، وهي الأخيرة بالتأكيد. وأشكر لك سعة الصدر فقد كنت في حاجة ماسة لمن يستمع فلم أجد غيري يمكنه أن يعرف كل هذه الأسرار ويتقبلها مني بترحاب كما فعلت أنا معي! ربما أغفلت الكثير من الأحداث أو اختلقت أخرى كانت كفيلة أن تغير نظرتك في ما هو بين يديك الآن. وربما لم تعد لديك القدرة أن تكتشفها إلا بالكثير من التدقيق في التفاصيل وهو أمر بات من الصعوبة أن يتحقق الآن، لم يعد ما نملك من وقت

قادر على أن يسعف أحدنا في إيقاف الزمن. بقي أن تدرك ولا أعرف سر إصراري على اعتبارك شخص آخر حتى الآن رغم اقتراب اللعبة من الانتهاء أن الإنسان مهما حسب نفسه مختلفاً فهو في الأخير يتحرك وفق طبيعته البشرية. وهو ما يقودنا في الكثير من الأحيان لاختلاق مبررات لما نفعله. لهذا اختلقت وجودك رغبة في الاعتراف بسرٍ لم أكن أجرؤ على أن اعترف به لنفسي وكأن وجودك سيخفف وطأة ما أحمل، أو حتى أرى نفسي كما رغبت! أو ربما يمكنني أن أتقبل ما أصبحت عليه. في النهاية تكتشف أن لا شئ قادر على إيقاف رغبتك في الخلاص مهما تعددت أوجه هذا التبرير.

وصدقني حين أعترف لك الآن أنني لم أكن أرغب في أن نصل معاً لهذه النقطة، وكان من الممكن أن ينتهي كل شئ أي لحظة ونحن منهمكان في السرد! لكن ربما هو عبء آخر قرر أن يضيف نفسه على قائمة الأحمال. والآن وبعد أن أصبحنا يقيناً نشعر بإقترابه يمكنني إخبارك أنك ستنام أخيراً وطويلاً يا صديقي الوحيد! حان الآن وقتك لأن

تسترخ، أرح جفنيك ولنشاهد معا اتساع العالم بعد أن كان يضيق! ربما تشعر ببعض الخمول في حواسك، ربما تشعر بالاختناق قليلاً لكن هون عليك، إنه الغاز كما تعلم. والأمر لن يستمر طويلاً لأنه استغرق الكثير بالفعل! لقد كان استدعاء أخير للموت وأرجو أن أكون قد أثرت حفيظة استفزازه خاصة وهو على موعد مع مفاجأة صغيرة بعد أن سلبته عنصر الاختيار هذه المرة وقد يكون مضطراً لأن يصطحب ثلاثتنا معه.

مربع صفر

بجانبي في إحدى الإشارات الضوئية، وقفت تلك السيارة اللينكولن نافيجيتور بلونها الفِضي الأخاذ وحجمها المهيب الذي يبرهن لك أن السفن أحياناً يمكنها السير على الأسفلت. وبغض النظر عما يحمله أكتوبر من غبار الخريف المعتاد لم أملك إلا فتح النافذة وأخذت أقلب نظري نحوها بهاجس غريب! ماذا لو كنت أمتلك سيارةً مثلها؟ ليس كنوع من الرفاهية طبعا، لأنني تخيلت أن أقوم بتشغيلها ك "ميكروباص"! الزبون المستهدف يستمتع برحابة المقاعد ونسمات التكييف العليلة التي تطفئ حرارة الصيف والستريو الخاص بي يفوح بموسيقى العظماء .. الدانوب الأزرق ينسجم مع الحوريات الست لتتلألأ بينهما معزوفة فاطمة في ليلة القبض عليها، فيعوض هذا المزج الجميع عن التشويه المتعمد الذي تخلفه الأغان الشعبية وما ترتكبه

من خدش حياء للأذن الوسطى. طبعا ستكون الأجرة مضاعفة! كل هذه الكماليات لها ثمنها طبعاً، فأنا لست على هذا القدر من الكرم لأقدم كل ما في جعبتي بشكلٍ مجاني.

لكن أكثر ما لفت نظري وأنا أستغرب مدى قدرة الصينيين وإبداعهم في صنع الكماليات هي تلك الحلية التي لم أر لها مثيل من قبل والمثبتة على إطارات السيارة بطريقة يجعلها كلما دارت صنعت موجة براقة من الضوء كأنها ترس يدور في الفراغ. رحت أتخيل هذا الترس الوهمي وكأنه الحياة التي تدور بنا وتجبرنا معها على الركض بنفس السرعة بلا أن تبدي أي اهتمام يذكر لهؤلاء المرهقين أو المتساقطين من فرط الإعياء.

كل هذه الذكريات التي تزدحم في خيالك في لحظة شئ ربما تعجز عن تحمله، لكنك تضطر. هناك نداء خفي في كل ما يتعلق بماضيك بشكل لا تستطيع مقاومته.

لكن ما لا نقدر على تحمله دائماً هي قدرة المزعجين على تشتيت انتباهك حين يستعملون أبواق سياراتهم بشكل جماعي لتذكيرك أن الإشارة تحولت للون الاخضر! لحظة! أين اختفت اللينكولن؟ لا يهم .. لو أن ما رأيته الآن على جانب الطريق حقيقيا لتذهب اللينكولن بكمالياتها إلى الجحيم! مجرد حلية في إطار سيارة فخمة كان قادراً – أو ربما كانت مجرد سبب أتخذه كذريعة – على أن ينير غرفة الذكريات التي أظلمت من شدة الإهمال، فما بالك وأنت ترى الماضي شخصياً أمام عينيك؟ وكأنها قدرية الصدفة التي تنير أمامك سبباً لتتبعه.

هي كما هي! لم يغيرها الزمن، ولم يزدها كف الصغيرة التي تتشبث بكفها عمراً على الإطلاق.

هي كما هي! ما زال الحاجز الفاصل بينكما لم يزد عن عرض شارع يمكنك عبوره قفزاً كما كنت تفعل قديماً لضيق مساحته، لكنه دهر

لو جال في خاطرك وأنت تعبره إحتمالية كل خطوة تخطوها بعد أن تصل إليها.

هي كما هي! حلم الطفولة الذي لم يكبر بعد. ومن الأجدر أن نتركه كما كان دون تمتد إليه يد العبث لتشوه تفاصيله مهما كانت صغيرة، فكل تفصيلة مهما صغرت يقف خلفها عمر كامل يمكننا أن نحكيه ونتذكره بنقاء وهو ما يدفعك الآن لتسدل الستار على الصدفة هنا كما بدأت.

عزيزي قانون الصدفة .. شكرا لك! سأختار متابعة الواقع دون محاولة تغيير تفاصيل الماضي، وهو من الأشياء التي كان الممكن أن تتعلمها لو أنك كنت حماده رغم أنك لست حماده على الإطلاق.

ربما كانت هذه هي لحظتي المناسبة أيضا لأن أقول وداعًا.

الفهرس

لكَ وكفى..... 5

الإهداء..... 7

الفاينل..... 9

الفصل الأول (واقعيات) 10

أن تنشر في مصر..... 11

زرقاء وحمراء..... 28

هروب سريع..... 36

مصر كما أعرفها..... 49

استراحة (مسرح .. تكتب أنت فصوله الأولى)..... 56

المشهد الأخير..... 59

الفصل الثاني (مرايا) 73

دكتور جيكل ومستر جيكل برضه..... 74

الوسادة البالية..... 84

قصة مواصلتين..... 86

كابوس ليلة شتاء..... 96

استراحة (متحف خلاصة الحكمة) 102

الفصل الثالث (باندورا) 128

إشارة ضوئية..... 129

بداية..... 137

أغسطس الأخير..... 144

خيال الظل..... 151

مربع صفر..... 162